روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل

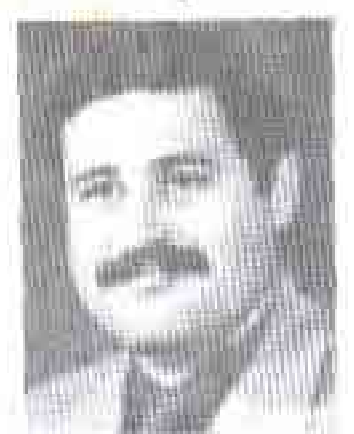
رحلة الهلاك

٥٤

رجل المستحيل ● رحلة الهلاك ● ٥٤ ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

المؤلف



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة



الثمن فى مصر

وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم

رحلة الهلاك

- كيف بدأت رحلة الهلاك بالنسبة لـ (أدهم) و (منى) و (قدرى) ؟
- من هى دونا (ماريانا) ؟.. ولماذا تقاتل (أدهم صبرى) بهذه الشراسة ؟
- تُرى.. كيف سينتهى الأمر ؟.. وكيف ستأتى نهاية (رحلة الهلاك) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) .



العدد القادم : أفعى برشلونة

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ الرِّحلة ..

خيَّم الهدوء على مبنى المخابرات العامّة المصريّة ، فى حىّ منْ أحياء القاهرة ، وارتفعت حرارة الجو عن معدّلها الطبيعى ، بالنسبة لذلك اليوم من منتصف (يونيو) ، وسرت فى مصر كلها موجة من التكاسل ، حيث آثر الناس الاسترخاء خلف هواء مراوحهم ، أو أمام أجهزة تكييف الهواء ، وبدا مسئول الأمن أمام بوّابة مبنى المخابرات متهالكًا ، ضجرًا ، وقد ألقى جسده المتعب فوق مقعد وثير ، ومدَّد قدميه فوق مقعد خشبى صغير ، وحلَّ رباط عنقه ، وتركه يتهدَّل فى إهمال فوق قميصه ، الذى تبلَّل بعرقه الغزير ، وبدت له نوبته الصباحية تلك الطويلة مملة ، وبات يحلُم باللحظة التى يصل فيها زميله ، ليتسلَّم منه النوبة ، أما داخل أروقة المبنى ، فعلى الرغم من أجهزة التكييف التى تنتشر فى كل مكان ، نجحت أشعة الشمس فى التسلّل عبر زجاج النوافذ ، فبدا الجو خانقًا ، مكتومًا ، مما جعل (منى) تهتف فى عصبيَّة :

ــ ياله من يوم !! كم يجعلنى أشتاق لمغامراتنا فى (سيبيريا) .

أطلق (قدرى) ضحكة مرحة ، وقال :

ـ ياله من تفكير متطرّف يا (منى) !!.. أتأملين الفرار من النار إلى الثلج دفعة واحدة .

ابتسمت فى مرح ، وهى تقول :

ـ لو أنك تشارك (أدهم صبرى) مهامه مثلى ، ما أصابتك الدهشة من أية أوضاع ، مهما بدت عجيبة ، فهو قادر على أن يبعث فى جسدك برودة الثلج ، وأنت تقف وسط أتون مشتعل .

قهقه (قدرى) ضاحكًا ، وارْتجَّ جسده البدين على نحو جعل (منى) تنفجر ضاحكة بدورها ، وهو يقول :

ـ عجبًا !!.. إنهم يحسدونك فى الإدارة على مشاركتك له ، وأنت تقولين هذا .

توقَّفت (منى) عن الضحك ، وأطلّت نظرة حانية من عينيها ، وهى تقول :

ـ صدقنى يا (قدرى) ، مهما بلغت المخاطر ، وأنت تشارك (أدهم صبرى) مهامه ، فالعمل معه متعة لا تفوقها متعة .

أومأ (قدرى) برأسه موافقا ، وهو يقول فى جدّيّة :

ـ كلنا هنا نعلم ذلك يا (منى) ، وكل فرد فى هذه الإدارة يأمل أن تتاح له الفرصة للعمل مع (أدهم صبرى) .

وهنا ارتفع صوت (أدهم) يقول :

ـ هل هناك من يذكر اسمى ؟

التفت (قدرى) و (منى) إلى باب الحجرة ، حيث يقف (أدهم) ، وابتسمت (منى) فى لهفة ، فى حين أطلق (قدرى) ضحكة مجلجلة ، وهو يقول :

ـ يبدو أنك قد اعتدت التسلّل فى خفة الهر يا صديقى .. إننى لم أشعر بقدومك إلَّا حينما تحدَّثت .

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وهو يقول مبتسمًا :

ـ إننى لم أقصد ذلك يا (قدرى) ، ولكنها غرائز تنمو بحكم العادة ، ومن كثرة التعرض للمخاطر ، والتآلف معها .

ضحك (قدرى) وهو يقول :

ـ هل تعنى أنك قد تشهر مسدَّسك وأنت تفتح باب الثلاجة ، أو تبدِّل ملامحك ، إذا ما أتاك ضيف غير مرغوب فيه .

ابتسم (أدهم) ، وهو يرفع سبابته فى وجه (قدرى) ، ويقول فى مرْح :

ـ احترس أيها البدين ، فقد أطلق النار على من يمازحنى أيضًا ، وإن كنت أشك فى أنك تحتاج إلى قذيفة مدفع على الأقل ، حتى يمكننا صنع ثقب صغير فى كرشك الضخمة هذه .

عاد (قدرى) يقهقه ضاحكًا فى مرح ، فى حين ابتسمت (منى) ، وهى تسأل (أدهم) :

ــ هل تضايقك هذه الموجة الحارة يا (أدهم) ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

ــ لقد قرَّرت أن أفرَّ منها يا (منى) .

ثم ابتسم وهو يستطرد :

ــ سنفرّ منها أنا وأنت و (قدرى) .

تطلَّع إليه (قدرى) و (منى) فى دهشة ، وتبادلا نظرة حائرة ، قبل أن تهتف (منى) :

ــ ماذا تعنى يا (أدهم) ؟

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

ــ هل سمعتما عن (عروس المتوسِّط) ؟

هتف (قدرى) فى حماس :

ــ بالطبع .. إنها سفينة رائعة ، صنعها رجل أعمال سويدىّ يدعى (تيدى فولسونج) ، وزوَّدها بأفخر وأعظم وسائل المتعة والترفيه ، وهو يستخدمها فى رحلات سياحية ، عبر موانى البحر المتوسِّط ، ويقال إن تلك الرحلات السياحية ، على متن (عروس المتوسِّط) ، هى حُلم رجال

الأعمال فى كل أنحاء العالم ، على الرغم من أن أجر الفرد يبلغ مائتى ألف دولار للرحلة الواحدة .

مطَّ (أدهم) شفتيه ، وقال :

ــ هذا يعنى أننا قد حصلنا على ستمائة ألف دولار يا رفاق .

حدَّق (قدرى) فى وجهه بدهشة ، فى حين هتفت (منى) فى انفعال :

ــ هل تعنى أن .... ؟

قاطعها (أدهم) ، وهو يبتسم فى هدوء :

ــ نعم يا عزيزتى ، لقد حصلت على ثلاث تذاكر مجانية ، على متن (عروس المتوسِّط) .

قفزت (منى) فى سعادة ، وهى تصفق بكفيها فى جذل ، وتهتف :

ــ لقد جاءت هذه الرحلة فى موعدها تمامًا .

إلا أن (قدرى) عقد حاجبيه ، وهو يقول فى تشكك :

ــ ولكن كيف حصلت على هذه التذاكر الثلاث يا (أدهم) .

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

ــ لقد حصل عليها فى الواقع شقيقى الدكتور (أحمد

صبرى) ، الذى يعمل فى السويد ، إذ ربطته صداقة قرية بالمليار دير السويدى (تيدى فولسونج) ، بعد أن اصطدم هذا الأخير بسيارة (أحمد) فى حركة خاطئة .. ونظرًا لشهامة (أحمد) وتسامحه ، أصبح الاثنان صديقين ، ومنذ أسبوع أهداه (تيدى فولسونج) ثلاث تذاكر للرحلة الجديدة لـ (عروس المتوسط) ، ولكن عمل (أحمد) لم يكن يسمح له بالحضور إلى هنا ؛ لذا فقد أرسل إلىّ التذاكر الثلاث ، وهو يتمنّى لى قضاء وقت طيب .

ضحكت (منى) ، وهى تقول :

ـــ مشاغل قوم عند قوم فوائد .

أما (قدرى) ، فعاد يسأل (أدهم) فى اهتمام :

ـــ وهل تأكّدت من ذلك ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـــ إننى لست مبتدئًا يا عزيزى البدين .. لقد أجريت اتصالاً هاتفيًا مع شقيقى ، وبعد تبادل بعض العبارات المتفق عليها بيننا ، والتى تؤكد شخصيته ، وأنه ليس تحت تأثير أى نوع من القهر أو الإرغام ، أكّد لى أمر هديته ، وتمنّى لى مرة أخرى قضاء وقت طيّب .

تنهّد (قدرى) فى ارتياح ، وقال :

ـــ هكذا فقط أستطيع الاطمئنان ، وانتظار الرحلة .

هتفت (منى) فى لهفة :

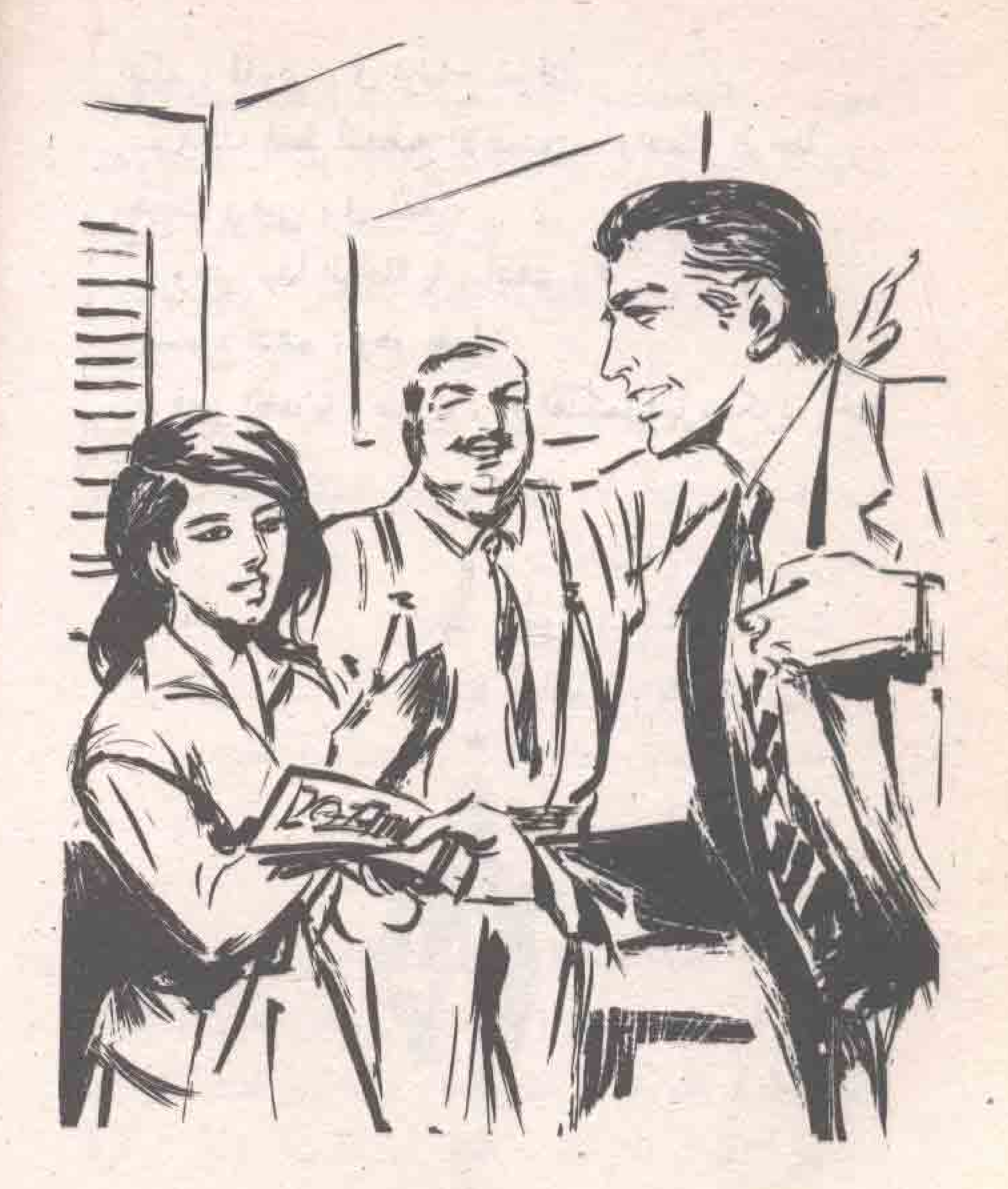
ـــ ومتى تبدأ الرحلة يا (أدهم) ؟

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

ـــ فجر الغد يا (منى) ، وأراهنكما أنها ستكون رحلة لا تُنسَى .

★ ★ ★





هتفت (منى) فى لهفة :

ــ ومتى تبدأ الرحلة يا (أدهم) ؟

٢ ــ الهلاك ..

انحنى شاب مفتول العضلات ، فارع الطول ، يشعل بقدّاحته سيجارًا فاخرًا ، بين شفتى رجل متوسط الطول ، أشيب الشعر ، حليق الوجه ، له حاجبان كثيفان ، داكنا السواد ، يخفيان عينيه الضيقتين ، اللتين تتألق وسطهما حدقتاه الذهبيتان على نحو يوحى بالمكر والدهاء والقوّة ، ونفث الأشيب دُخان سيجارته فى هدوء ، قبل أن يتطلّع إلى الشاب ، قائلاً :

ــ هل ابتلع الطعم ؟

ابتسم الشاب ، وقال :

ــ لم يكن أمامه سوى ذلك يا مستر (فولسونج) ، فعبقريتك الفذة أعدَّت الخطة على نحو لا يسمح إلَّا بذلك .

ارتسمت ابتسامة مختالة على شفتى (تيدى فولسونج) ، وقال وعيناه تزدادان ضيقًا :

ــ إنك تنتصر دائمًا ، إذا ما تعاملت مع خصمك بعد دراسته جيِّدًا ، وبافتراض أنه يمتلك نفس القدر من الذكاء ، الذى تمتلكه .

ثم تراجع فى مقعده ، وهو يستطرد فى ثقة أقرب إلى الغرور :

— لقد افتعلت حادث السيارة فى مهارة ، وساعدتنى طبيعة الدكتور (أحمد صبرى) الودود فى إثراء الصداقة بيننا فى سرعة ، وفى أثناء ارتباطه بأكبر قدر من الأعمال الهامة ، أهديته التذاكر الثلاث ، وأوحيت له بأسلوب ذكى غير مباشر أن يهديها بدوره إلى شقيقه ، الذى تحدَّث عنه أكثر من مرَّة ، دون أن يشير إلى طبيعة عمله ، وأنا أتظاهر بأننى لا أعلمها .

وأطلق ضحكة ساخرة ، عالية ، مجلجلة ، فى حين ابتسم الشاب فى إعجاب ، وهو يغمغم :

— ولقد أرسل التذاكر إلى شقيقه بالفعل .

ثم ظهر الارتباك على وجهه ، وهو يردف :

— ولكن هل سيسافر حقًّا :

ابتسم (فولسونج) فى ثقة ، وقال :

— إنه لن يتصوَّر أبدًا أن هذه الدعوة هى دعوة إلى الهلاك يا (هنريك) ، ولن يخطر بباله أبدًا أن (تيدى فولسونج) هو الزعيم الجديد لأقوى منظَّمة جاسوسية فى أركان العالم الستة .. منظمة (سكوربيون)(*) .

(*) راجع قصة (أرض الأهوال) .. المغامرة رقم (١٣) .

عاد (هنريك) يغمغم فى شك :

— ولكن هل سيسافر ؟

ضحك (تيدى فولسونج) فى سخرية وثقة ، وقال :

— سيسافر يا (هنريك) .. سيسافر .

تردَّد (هنريك) لحظة ، ثم غمغم :

— معذرة يا سيِّدى .. ولكن ماذا يؤكد هذا ؟

حدَجه (فولسونج) بنظرة مستنكرة ، وهو يقول :

— هل نسيت أن أحد رجالنا يراقب مسكنه منذ أمس الأول يا (هنريك) ؟

ثم اعتدل فى مقعده ، ونفث دُخان سيجاره الفاخر ، وهو يستطرد فى ثقة :

— إن (أدهم صبرى) فى طريقه الآن إلى الإسكندرية ، وبصحبته زميلته (منى) ، وزميله (قدرى) .. وأراهنك أنهم سيبدؤن رحلتهم على ظهر (عروس المتوسِّط) فجر الغد .

وابتسم فى سخرية ، وهو يردف :

— رحلتهم نحو الهلاك .

* * *

« مرحبًا بكم على متن (عروس المتوسِّط) ، أفخر سفينة

سياحية فى العالم أجمع ، ستبدأ رحلتنا رقم (عشرة) من مدينة الإسكندرية ، التى تحمل نفس الاسم (عروس البحر المتوسّط) ، وستقضون على ظهر أعظم السفن السياحية أمتع أوقاتكم ، ونحن نتجه غربًا إلى ميناء (تونس) ، حيث ستقضون ثلاثة أيام ، ثم نتجه إلى (الجزائر) ، ومنها إلى (برشلونه) فى (إسبانيا) ، حيث نمضى هناك يومين ، نعود بعدهما إلى الانطلاق شرقًا ، لتعيشوا يومين آخرين فى ميناء (مرسيليا) الفرنسى ، ثم ننعم بعراقة ميناء (نابولى) الإيطالى الشهير لمدة ثلاثة أيام ، وبأصالة (أثينا) يومين ، ثم إلى (رودس) ، حيث نلتهم شاطئها الساحر ، وبعدها إلى (قبرص) فـ (حيفا) فالعودة إلى (الإسكندرية) .. كل هذا فى إطار المتعة والجمال والروعة .. ستكون رحلة لن تنسوها .. لن تنسوها أبدًا » .

تردَّد هذا النداء عَبْر مكبرات الصوت ، فى كل أنحاء السفينة الفاخرة ، التى التهمتها (منى) بعينيها ، وهى تهتف فى انبهار :

ـ يا إلٰهى !!.. إنه حُلم .. لست أصدِّق أننا سنقضى فى هذا المكان الساحر شهرًا كاملاً .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ أعتقد أننا نستحق هذه الإجازة يا رفاق ، فهذه أول مرَّة نحصل فيها على إجازة منذ التحاقنا بجهاز المخابرات العامَّة ، باستثناء الإجازات الإجبارية ، التى كنا نقضيها فى أسِرَّة أقسام الجراحة العاجلة بالمستشفيات .

أطلق (قدرى) واحدة من ضحكاته المجلجلة ، قبل أن يقول فى مرح :

ـ المهم ألَّا تتلفَّت حولك طوال الوقت فى شك ، أو تطلق النار على أول نسمة تهز ستائر نافذة حجرتك ، وإلَّا أفسدت الإجازة .

ضحك (أدهم) وهو يقول :

ـ اطمئن يا عزيزى (قدرى) .. إننى لم أحضر مسدَّسى ، ولا حقيبة أدوات التنكر .. ستكون إجازة حقيقية هادئة .

غمغمت (منى) :

ـ مستحيل !!

رفع (أدهم) حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول ضاحكًا :

ـ ما هو المستحيل يا عزيزتى (منى) ؟

ابتسمت وهى تقول :

ـ لقد كنت أحلُم بهذا طيلة عمرى ، أن نذهب معًا فى رحلة خارج العمل ، وأن أستمتع مرة واحدة بدول (أوربا) دون الشعور بالخطر ، وها هو ذا الحلم الذى كنت أظنه مستحيلاً يتحقَّق .

ابتسم (أدهم) فى حنان ، فى حين ضحك (قدرى) وهو يقول :

ـ لا يوجد مستحيل مع (أدهم صبرى) يا (منى) .. هل نسيت أننا نطلق عليه اسم (رجل المستحيل) .

★ ★ ★

على بعد أمتار منهم ، استند رجلان إلى حاجز السفينة ، وغمغم أحدهم فى حَنَق ، وهو يختلس النظر إلى أبطالنا :

ـ كم أتمنَّى أن أطلق الرصاص عليهم الآن يا (فريدون) .

ابتسم زميله فى هدوء ، وهو يقول :

ـ لا تتعجَّل يا عزيزى (مارنى) ، لكل شىء وقته ، وهذا الشيطان المصرى لن يفلت منا أبدًا ، فحتى لو أفلت مما أعددناه له على ظهر السفينة ، فسيجد رجالنا بانتظاره فى كل ميناء .. اطمئن .. إنها رحلة (أدهم صبرى) الأخيرة .

★ ★ ★

٣ ـ وبدأت الرحلة ..

تألَّقت السفينة الفاخرة بأضواء مبهرة ، وهى تتهادى فوق سطح البحر ، وسط الظلام الذى خيَّم ، بعد اختفاء قرص الشمس وراء الأفق ، وتملَّك الجذل (منى) ، وهى تجلس مع (أدهم) و (قدرى) حول مائدة العشاء ، فى مطعم السفينة الأنيق ، فهتفت فى سعادة :

ـ لست أصدِّق نفسى .. كل شىء هنا رائع .

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

ـ يسعدنى أنّ الرحلة أعجبتك يا (منى) .

هتفت فى فرح :

ـ سأرسل برقية شكر للدكتور (أحمد صبرى) يا (أدهم) ، فهديته أكثر من رائعة .

ثم استطردت فى انبهار :

ـ الحجرة التى أقيم بها فاخرة ، كل شىء فيها يدار إليكترونيًا ، حوض السباحة على سطح السفينة مبهر ، أضف إلى ذلك الأثاث الفاخر ، والخدمات العديدة ، التى تجعلك تشعر وكأنك ملك متوَّج .

ضحك (قدرى) ، وهو يقول مداعبًا :

ـ إنه شعورى دائمًا يا عزيزتى (منى) .
ثم التفت إلى (أدهم) مستطردًا :
ـ أليس كذلك يا (أدهم) ؟
وعقد حاجبيه فى حَيْرة ، حينما لاحظ شرود (أدهم) ، وهتف به :
ـ (أدهم) .. هل تسمعنى ؟
أدار (أدهم) عينيه إليه فى شرود ، ثم ابتسم وهو يقول :
ـ معذرة يا عزيزى (قدرى) .. لقد شرد ذهنى لحظة ، ماذا كنت تقول ؟
مطَّ (قدرى) شفتيه ، وهو يغمغم :
ـ إنها دُعابة يا (أدهم) ، والدعابات لا تتكرَّر .
ابتسم (أدهم) معتذرًا ، ثم نهض من مقعده ، وقال فى هدوء :
ـ معذرة يا صديقى ، تمتعا بالمكان ، وسأعود بعد لحظات .
تطلَّعا إليه فى دهشة ، وغمغمت (منى) فى قلق :
ـ ماذا هناك ؟
ابتسم (أدهم) فى مرح ، ولوَّح بذراعه وهو يقول ضاحكًا :

ـ لا تنظرا إلىَّ هكذا .. لقد نسيت شيئًا فى حجرتى فحسب ، وسأذهب لإحضاره .
ثم أسرع الخطا إلى خارج قاعة الطعام ، وتابعاه ببصريهما حتى اختفى خارجها ، ثم التفتت (منى) إلى (قدرى) ، وغمغمت :
ـ هل تصدِّقه ؟
ابتسم (قدرى) ، وهو يقول :
ـ ولِمَ لا ؟.. إنها رحلة يا عزيزتى ، وليست مهمَّة ، فلا داعى لكل هذا الشك .
ولم يكد يتم عبارته حتى وضعت مضيفة جميلة أطباق الطعام الشهىَّ أمامهما ، فهتف (قدرى) فى مرح :
ـ نعم .. هكذا تكون الحياة ..
ثم أقبل على الطعام فى شهيَّة عجيبة ، أمَّا (منى) ، فعادت تغمغم فى قلق :
ـ ليتنى أصدِّق يا (قدرى) .. ليتنى .

★ ★ ★

وقف (أدهم) يستنشق نسيم البحر على سطح السفينة ، وقد عقد حاجبيه فى مزيج من القلق والاهتمام ، وأخذ يغمغم فى صوت خافت :

ــ ماذا كنت تريدنى أن أقول يا صديقى (قدرى) ؟ .. والله لقد خشيت أن تتهمنى بكثرة الشك ، إذا ما أخبرتك بما يدور فى ذهنى .

ثم استند بكفيه على حاجز السفينة ، ووقف يتطلّع إلى البحر المظلم فى شرود ، وهو يواصل غمغمته :

ــ لو أننا طبّقنا قواعد المهنة ، وما تعلّمناه فى مدرسة المخابرات ، وأضفنا إلى ذلك الشعور المعروف بغريزة الخطر ، لقلنا إن هذين الرجلين ، اللذين يجلسان فى ركن قاعة الطعام ، يراقباننا فى اهتمام بالغ ، منذ ساعة على الأقل ، وإن كلاً منهما يحمل فى جيب سترته الداخلى مسدسًا ، تكفى خزانته لحمل ثمانى رصاصات ، وإن الأقصر قامة منهما يخفى خنجرًا فى جوربه ، وهذا يعنى أنهما ليسا رجلى أعمال بالتأكيد .

وتنهّد قبل أن يستطرد فى ضيق :

ــ ولو ربطنا هذه الأمور بعضها ببعض ، سيبرز أمامنا احتمال سخيف ، ألا وهو أن هذه الرحلة تحمل رائحة الخداع والخيانة ، وأن (منى) لن تحقّق أمنيتها هذه المرّة و .....

وفجأة .. قفز (أدهم) جانبًا ..

ربما كان السبب شيئًا سمعه ، أو رآه ، أو شعر به ..

أو أنها غريزة نمت مع مواجهة الخطر ، والحياة فى دروب الموت ..

المهم أن تلك القفزة جاءت فى موعدها تمامًا ، فقد التقطت أذنه المدرّبة أزيز رصاصة ، انطلقت من فوّهة مسدّس مزوّد بكاتم للصوت ، وعبرت إلى جوار رأسه تمامًا ..

عَبرت نفس الموقع ، الذى احتلته رأسه ، قبل أن يقفز ..

وفى استجابة مذهلة ، قويّة ، رائعة ، غاص (أدهم) بجسده إلى أسفل ، ثم دار على عقبيه فى رشاقة مذهلة ، واستند بكفّه اليمنى إلى حاجز السفينة ، فى حين قفزت قدمه اليسرى تركل المسدّس ، من قبضة (فريدون) ، ثم انطلقت قبضته اليسرى فى معدة الرجل ، وأعقبتها قبضته اليمنى ، التى تخلّت عن حاجز السفينة ، لتهوى على فك (فريدون) ، وتحطّم ثلاثًا من أسنانه ..

وانتزع (مارلى) مسدّسه على عجل ، ولكنه لم يستعمله أبدًا ، فقد حطّمت قبضة (أدهم) أنفه ، وهشّمت الأخرى فكه ، وألقت به على الأرض ووجهه غارق فى دماء لزجة دافئة ..

والتقط (فريدون) خنجره ، وقفز محاولاً إغماده فى ظهر

(أدهم) ، ولكن الخنجر هوَى فى الفراغ ، حينما قفز (أدهم) جانبًا ، ودار على ساق واحدة ، وركل بالأخرى وجه (فريدون) ، الذى اختل توازنه ، وترنَّح ، وسقط الخنجر من قبضته ، قبل أن يصطدم بحاجز السفينة ، ويصارع الهواء بذراعيه فى رعب ، ثم يهوِى إلى البحر ..

كاد يصرخ حينما سبح جسمه فى الفراغ ، خارج السفينة ، ولكن هبوطه توقَّف بغتةً ، حينما أمسكت به ذراع كالفولاذ ، ورفعته كما لو كان طفلاً فى شهره الأول ، وأعادته إلى السطح ، ليرتجف جسده فى رعب هائل ، وتسرى ارتجافته من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، مع صوت (أدهم) الصارم ، وهو يقول :

ــ من أرسلك ؟

لو أن شخصًا شرح مثل هذه الظروف لـ (فريدون) ، وسأله عمَّا سيفعله ــ حينئذ ــ لأقسم قسمًا مغلظًا أنه لن يتفوَّه بكلمة ، وأنه سيفضِّل الموت على إفشاء أسرار المنظمة التى ينتمى إليها .. ولكن (أدهم) لم يكد يتم سؤاله ، حتى أجابه (فريدون) فى ذُعر :



كاد يصرخ حينما سبح جسمه فى الفراغ ، خارج السفينة ، ولكن هبوطه توقَّف بغتةً ، حينما أمسكت به ذراع كالفولاذ ..

— مستر (فولسونج) .. إنها أوامره .. إننى أنفّذ أوامره فحسب .

عاد صوت (أدهم) الصارم ، الذى يجمد الدم فى العروق ، يقول :

— وبِمَ أمرك (فولسونج) هذا ؟

كاد الرجل يبكى من شدة ذُعره ، وهو يجيب :

— لقد أمرنا بالتخلص منك يا مستر (أدهم) .. إنه يقول إنك العدُوّ الأول لمنظمتنا (سكوربيون) .

ضاقت عينا (أدهم) ، وهو يغمغم :

— (سكوربيون) ؟!!.. لم يكن الأمر مجرّد شكوك إذن !

وتألّقت عيناه فى جذل عابث ، وهو يستطرد فى سخرية :

— يبدو أننى سأضطر لتلقينكم درسًا جديدًا أيها الوغد ، فمن الواضح أنكم لم تفيدوا من الدروس السابقة .. إلى اللقاء يا مندوب العقارب .

لوّح (فريدون) بذراعيه فى ذُعر ، وهو يقول :

— لقد كنت أنفّذ الأوامر يا مستر (أدهم) .. أُقسم لك .

ولكن قبضة (أدهم) الفولاذية أخرسته هذه المرّة ..

★ ★ ★

عاد (أدهم) إلى مائدة رفيقيه ، فى قاعة الطعام ، هادئًا ، وجلس إلى جوارهما مبتسمًا ، فسألته (منى) :

— هل أحضرت ما ذهبت من أجله ؟

ابتسم (أدهم) وهو يتطلّع إلى (قدرى) ، الذى يلتهم الطعام فى شراهة ، وقال :

— نعم يا (مُنى) ، ولقد كانت الغنيمة أكبر مما كنت أتصوَّر .

سألته فى دهشة :

— الغنيمة ؟!.. ماذا تعنى ؟

أجابها فى هدوء :

— ألا تعتبرين مسدَّسين مزوَّدين بكاتمى صوت ، وخنجرًا أنيقًا حادًّا غنيمة رائعة ؟

توقّف (قدرى) بغتةً عن التهام الطعام ، وشارك (منى) تلك النظرة الشاردة ، التى حدّقت بها فى وجه (أدهم) ، وهى تهتف فى توتُّر :

— ماذا حدث ؟.. ماذا حدث بالله عليك ؟

تنهّد وهو يقول :

— إنك لن تصدّق يا عزيزتى .

ثم أخذ يقص عليهما ماحدث بنبرات هادئة ، وكأنه يروى قصة عاديَّة ، وعينا (منى) تتسعان فى ذُعر ، فى حين فقد (قدرى) شهيته تمامًا ، حتى انتهى (أدهم) من قصته ، فهتف (قدرى) :

— هل تعنى أننا الآن فى قلب الفخ ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

— لقد كشفنا الأوراق ياصديقى ، وفقدت (سكربيون) عامل المفاجأة .

غمغم (قدرى) فى توتُّر :

— ولكن الخطر لم ينته بعد ، فالسفينة كلها ملك لهم .

استرخى (أدهم) فى مقعده ، وهو يقول فى هدوء :

— تظاهر بأنك لم تلحظ ذلك يا صديقىَ البدين .. فلقد انطلقت السفينة ، ولم يعد هناك مجال للتراجع .

سألته (منى) فى قلق :

— ماذا تعْنى ؟

أجابها فى هدوء عجيب :

— أعْنى أن (سكوربيون) تتحدَّانا مرَّة أخرى يا (منى) ، ولقد أعلنت أننى أقبل التحدِّى .

* * *

٤ — التحدِّى ..

ارتسمت علامات الغضب على وجه (فولسونج) ، وهو يهتف فى عصبية :

— خسرنا الجولة الأولى ؟!.. ماذا تعْنى يا (هنريك) ؟

كان (هنريك) يبدو شديد السخط ، وهو يقول :

— لقد أرسل (فريدون) رسالة لاسلكية من السفينة يا سيِّدى ، وهو يقول : إن ذلك الشيطان المصرىَ قد كشف اللُّعبة ، وإنه نجا من محاولة القتل الأولى ببراعة فائقة ، واستولى على الأسلحة .

هتف (فولسونج) فى حَنَق :

— يا للشيطان !!

وأخذ ينفث دُخان سيجاره فى عصبيَّة ، وهو يقول :

— لقد فقدنا عنصر المفاجأة ، وسيصبح قتال ذلك الشيطان المصرى أشبه بقتال نمر شرس ، زادته جروحه وحشية ، وسنضطر إلى الانتقال للخطة (ب) .

هتف (هنريك) فى دهشة :

— هل سنتركه يصل إلى (تونس) ؟

أجابه (فولسونج) فى حِدَّة :

ـ نعم .. سنحاول إيهامه بأن الخطر قد زال .

وعاد يتنهَّد فى انفعال ، وهو يستطرد :

ـ وسنترك الباق لـ (بن كريم) فى قلب (تونس) .

★ ★ ★

بعد رحلة هادئة ، استغرقت أربعة أيام ، توقَّفت (عروس المتوسِّط) فى (تونس) ، وتنهَّدت (منى) فى ارتياح ، وهى تقول :

ـ ها نحن أولاء قد وصلنا .. إننى أقترح أن نعود إلى القاهرة فى أول طائرة .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـ عجبًا !!.. منذ ساعة واحدة كنت تؤكدين أن الخطر قد زال .

عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى عصبية :

ـ كنت أحاول أن أطمئن نفسى يا (أدهم) .. فلقد مضت الأيام الثلاثة الماضية ، دون مخاطر ، ولكننى لا أثق فى الأيام القادمة ، فلا ريب أن هؤلاء الأوغاد يعلمون الآن ، أنك هزمت رجليهم .

ابتسم وهو يقول فى مرح :

ـ هذا ما سيجعل العملية أكثر إمتاعًا يا عزيزتى .

هتف (قدرى) فى دهشة :

ـ أى إمتاع فى هذا يا (أدهم) ؟.. إننى أشعر وكأننا نجلس فوق قنبلة زمنية ، الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم متى تنفجر .

ظهرت الصرامة فى عينى (أدهم) ، وهو يقول :

ـ إننى لا أجبركما على البقاء يا (قدرى) ، أمَّا أنا فسأبقى ، فأنا لم أعتد الفرار أمام أى خصم ، مهما بلغت قوته .

هتفت (منى) فى حنق :

ـ ولكنك تلعب بالنار دون مبرِّر .

هزَّ كتفيه فى استهتار ، وهو يقول :

ـ هل تحبَّان أن أوصلكما إلى المطار ؟

تبادل (قدرى) و (منى) نظرات قلقة ، ثم غمغمت (منى) فى عناد :

ـ سأبقى مادمت ستبقى .

وابتسم (قدرى) فى مرح مصطنع ، وهو يقول :

ـ كيف تتصوَّر أننى سأضيع فرصة للعمل مع (أدهم صبرى) ؟

وفى اللحظة نفسها ، التى انتهى فيها (قدرى) من عبارته ، ارتفع صوت مهذَّب يقول :

ــ هل تحتاجون إلى دليل، يقودكم إلى أجمل مناطق (تونس) يا سادة ؟

التفتوا إلى مصدر الصوت ، فطالعهم شاب أنيق وسيم ، ابتسم ابتسامة جذَّابة ، وهو يمد يده إليهم مستطردًا :

ــ اسمحوا لى بتقديم نفسى أولاً .. أنا (بن كريم) .. أفضل دليل سياحى فى (تونس) كلها .

★ ★ ★

استرخى (أدهم) فى هدوء عجيب ، إلى جوار (بن كريم) ، الذى أخذ يقود سيارته فى براعة ، عَبْرَ شوارع (تونس) وميادينها ، ويقول ، وهو يتطلَّع إلى (قدرى) و (منى) ، فى مرآة السيارة :

ــ هل أعجبتكما نزهة اليوم يا سادة ؟

ابتسمت (منى) ، وهى تقول :

ــ (تونس) مدينة رائعة يا سيِّد (بن كريم) ، ولقد شرحت لنا معالمها بأسلوب رائع منمَّق ، أثار إعجابنا ، ونجح فى إزالة الكثير من قلقنا وتوتُّرنا .

رفع (بن كريم) حاجبيه فى دهشة ، وهتف :

ــ قلقكم وتوتُّركم ؟!.. كيف يتأتَّى هذا ياسيِّدتى ، وأنتم تجوبون المتوسِّط على متن عروسه ؟

ابتسم (أدهم) دون أن ينطق بكلمة واحدة فى حين أسرع (قدرى) يقول :

ــ السيِّدة تعنى قلقنا من ألَّا نجد من يشرح لنا ما شرحته .

لوَّح (بن كريم) بكفِّه فى خُيَلاء ، وهو يقول :

ــ من حسن حظكم أن وافقتم على (بن كريم) .. إننى بلا فخر أفضل دليل سياحى فى الدولة كلها .

ثم أردف فى اهتمام :

ــ وأنا أدَّخر لكم مفاجأة .. سأريكم ما لم يره سائح آخر .

سألته (منى) فى اهتمام :

ــ ما هو ؟

ابتسم فى فخر ، وهو يقول :

ــ قلب (تونس) .. قلبها الشعبى .

غمغم (أدهم) فى برود :

ــ وهل يستحق الرؤية ؟

شهق (بن كريم) فى استنكار ، وهتف :

ــ لا يمكنك أن تقول إنك شاهدت دولة ما ، ما لم تر قلبها يا سيِّدى .. فالدولة ليست مزارات سياحية فحسب .. إنها الشعب والعادات والتقاليد ، ولقد ادخرت هذا لنهاية اليوم .

ثم انحرف فى شارع جانبى ، وهو يستطرد :

ــ سيكون حفلاً رائعًا .

وانطلق بسيارته عَبْر طرقات شديدة الضيق ، أثارت انتباه أبطالنا الثلاثة فى شدة ، وجعلت (أدهم) يسأله فى سخرية :

ــ أهذه الشرايين الضيقة ، هى التى تقود إلى قلب المدينة ؟

أجابه الرجل فى حماس :

ــ بالطبع يا سيِّدى .

ثم أوقف السيارة فى منتصف حارة ضيقة ، وقال :

ــ سنكمل الطريق سيرًا على الأقدام ، فهو لن يتسع لعبور السيارة بعد أمتار قليلة .

غادر الجميع السيارة خلفه ، وتبعوه فى هدوء ، وهو يدلف فى طريق ضيق إلى آخر أكثر ضيقًا ، حتى انتهى بهم المطاف إلى منطقة صامتة تماما ، فتوقَّف (بن كريم) ، وقال :

ــ لقد وصلنا يا سادة .

تلفتت (منى) حولها ، وهى تقول فى دهشة :

ــ أين الحفل الذى أخبرتنا به ؟

ابتسم الرجل فى سخرية ، وهو يقول :

ــ هنا يا سيِّدتى .. حفل خاص ، من إعداد (تيدى فولسونج) .

ثم تراجع إلى الوراء فى سرعة، فى نفس اللحظة التى برز فيها عشرات الرجال فوق جدارى الطريق الضيق، وهم يحملون هراوات غليظة، تنتهى بأطراف حديدية مدبَّبة، وظهر رجلان ضخما الجثة فى نهاية الطريق، يسدانه بجسديهما الغليظين، وهما يحملان هراوتين أكثر غلظة، وابتسم (بن كريم)، وهو يقول فى مزيج من السخرية والشماتة :

ــ لقد وعدت مستر (فولسونج) بأن أرسل له بقاياكم فى دلو صغير ، ولكننى أعتقد أنها لن تحتاج لأكثر من زجاجة واحدة .

وبإشارة من يده ، انقضَّ مائة رجل على أبطالنا الثلاثة .

★ ★ ★

شحب وجه (قدرى) ، وارتجفت (منى) حتى أخمص قدميها ، حينما انقض الرجال ، ولكن هذا لم يمنعها من التقاط

مسدسها فى سرعة ، وإطلاق رصاصاته عليهم ، فى محاولة يائسة للدفاع عن نفسها .. أما (أدهم) ، فقد تحرَّك فى سرعة مذهلة كعادته ، فتفادى ضربة قوية من هراوة قاتلة ، وهشَّم فكَّ صاحبها بلكمة كالقنبلة ، ثم قفز عاليًا ، وحطَّم أنف رجل ثانٍ بركلة فولاذية ، وكسر أسنان الثالث بأخرى كالصاعقة ، ثم دار بجسده فى الهواء ، وهبط على قدميه ، لتهوى قبضتاه على فكّى رجلين ، وتخرجهما من قائمة المقاتلين ، قبل أن ينتزع مسدَّسه ، ويطلق منه ثلاث رصاصات ، جندلت ثلاثة رجال فى جزء من الثانية ، وتراجع الباقون فى ذُعر أمام قوة خصمهم ، ومهارته المذهلة .. ولكن (بن كريم) صرخ فى غضب :

ــ هل يفزعكم رجل واحد ؟.. ماذا أصابكم ؟.. مزِّقوا هذين الرجلين ، والفتاة .. مزِّقوهم أيها الجبناء .

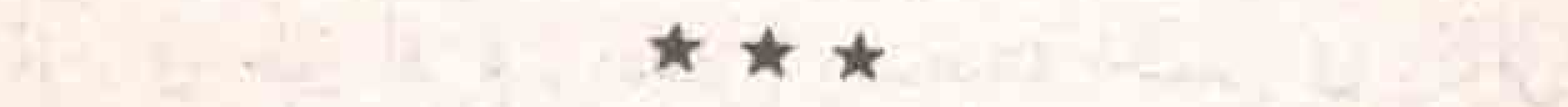
كانت (منى) قد أسقطت ستة رجال برصاصاتها ، وأسقط (أدهم) ثمانية بقبضتيه وقدميه ، ورصاصاته الثلاث ، مما جعل الباقين يتردَّدون لحظة ، قبل معاودة هجومهم ، وكانت هذه اللحظة فى صالح (أدهم) ، الذى هتف فى سخرية :

ــ هيَّا أيها الأوغاد .. من منكم يحب أن يتلقَّى فى رأسه رصاصتى الرابعة ؟.. أراهن أنكم لاحظتم أننى لا أخطئ هدفى أبدًا .

كان من الواضح أن كلماته قد أرهبت الرجال ، على الرغم من ضخامة عددهم ، مما فجَّر كل الغضب فى أعماق (بن كريم) أو جعله يصرخ فى ثورة :

ــ اقتلوهم .. اقتلوهم أيها الجبناء .

وفى هذه المرَّة انقضَّ الرجال ، وقد قرروا ألا يتراجعوا أبدًا ، إلَّا بعد قتل (أدهم) و (قدرى) و (منى) .





٥ ـ كُومَةَ اللَّحم ..

كان مسدَّس (منى) لا يحوى إلَّا رصاصة واحدة ، ومسدَّس (أدهم) يحمل خمس رصاصات ، أما (قدرى) فلم يكن يحمل سلاحًا ..

وكان هذا فى مواجهة ستة وثمانين رجلاً ، وست وثمانين هراوة ..

وبدا النصر مستحيلاً ..

وأطلقت (منى) آخر رصاصاتها فى رأس أقرب المهاجمين إليها ، وهبطت هراوة ضخمة على معدة (قدرى) فشهق فى ألم ، فى حين أفرغ (أدهم) رصاصاته الخمس فى رءوس مهاجميه وحطَّم فكَّ رجل سادس بلكمة ساحقة ، وأصبح على أبطالنا الثلاثة أن يواجهوا تسعة وسبعين رجلًا ، بلا سلاح على الإطلاق .

وفجأة .. قفز (أدهم) قفزة ، وصفها الجميع فيما بعد بأنها مذهلة ، تجاوز بها جسدى زميليه ، وأجساد المهاجمين .. حتى بدا وكأنه يطير بلا أجنحة ، قبل أن يهبط خلف الجميع ، ويلكم (بن كريم) لكمة قوية ، أمام العيون الشاردة ، ثم يطوِّق عنقه بذراعه ، وينتزع من حزامه ذلك الخنجر ، الذى

غنمه من (فريدون) على ظهر السفينة ، ويغرس طرفه المدبَّب فى عنق (بن كريم) ، وهو يقول فى صرامة مخيفة :

ــ مُرْ رجالك بإيقاف القتالَ يا أحقر الأوغاد ، وإلَّا كان رأسك هو أول ما يصل إلى ذلك الخنزير (فولسونج) .

توقَّف القتال دفعة واحدة أمام ذلك المشهد ، وتسمَّر الجميع فى أماكنهم ، كما لو كانوا صورة ثابتة ، وسط فيلم متحرِّك ، حتى أن هراوة أحد المهاجمين توقَّفت على بعد سنتيمترين من رأس (منى) ، التى جذبت (قدرى) من ذراعه ، وهى تغمغم فى توتُّر بالغ :

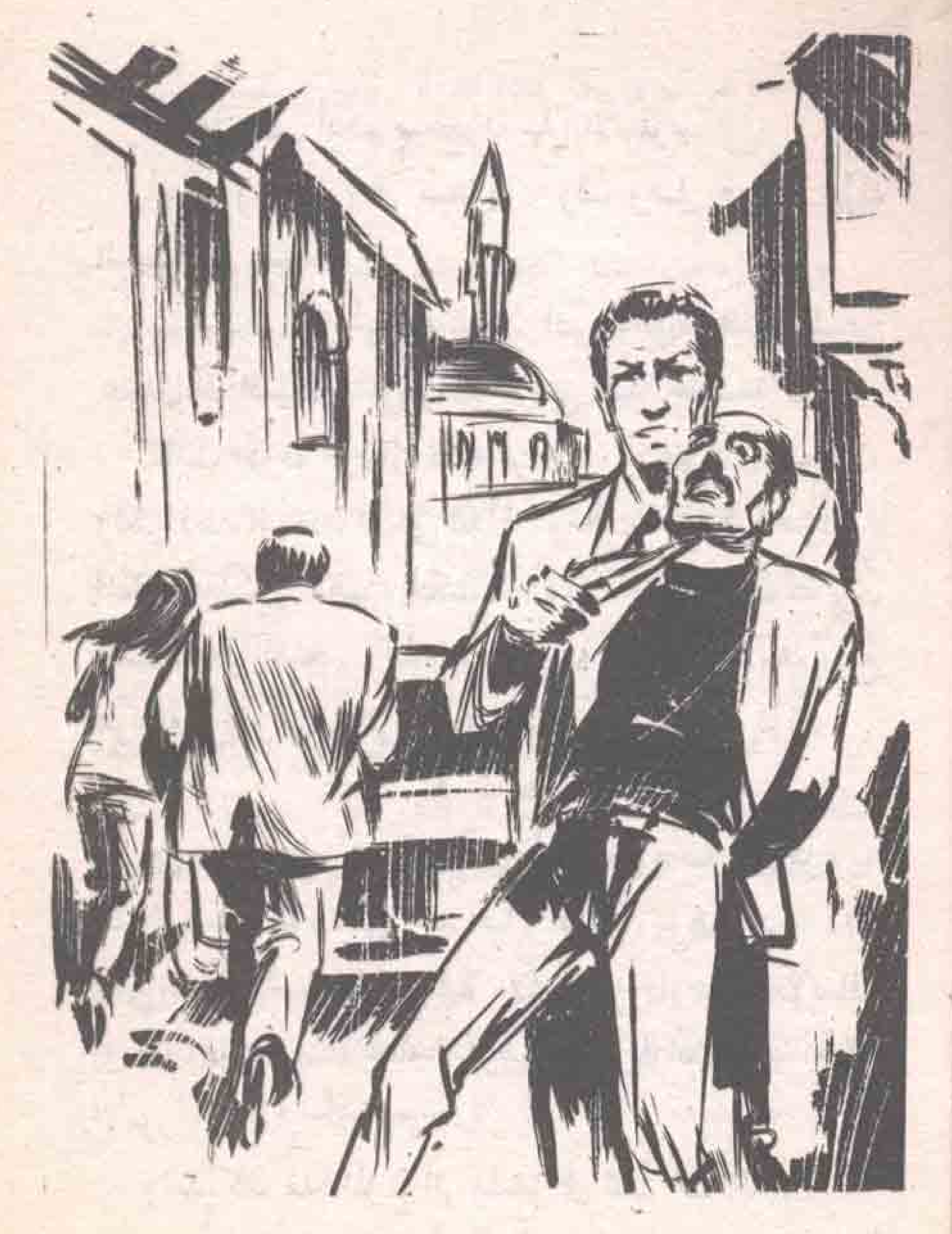
ــ أسرع يا (قدرى) .. أسرع قبل أن يضيع أثر مفاجأة (أدهم) .

تبعها (قدرى)، وهو يشعر بآلام معدته، بعد الضربة القوية ، التى تلقَّاها فيها ، حتى صارا خلف (أدهم) و (بن كريم) الذى هتف فى صوت متحشرج ، وهو يشعر بنصل الخنجر ، الذى تغوص ذبابته فى عنقه :

ــ هل تظن أننى سأسمح لكم بالهرب ، أيها الشيطان المصرى؟

أجابه (أدهم) فى لهجة تجمع بين الصرامة والسخرية :

ــ عليك أنت أن تختار أيها الوغد ، بين فرارنا ، وبقائك على قيد الحياة ، أو موتنا إلى جوار عنقك المبتور .



وأسرعت (مني) وخلفها (قدرى) إلى السيارة ..

سَرَت همهمة غاضبة بين رجال (بن كريم) ، الذى حاول التظاهر بالشجاعة ، وهو يقول فى صوت مرتجف :

ــ إنك لن تجرؤ .

دفع (أدهم) مزيدًا من نصل الخنجر فى عنقه ، وهو يقول فى سخرية :

ــ هل تراهن ؟

شحب وجه (بن كريم) ، وشعر بالدماء الساخنة تسيل على عنقه ، وتلوُّث قميصه ، فهتف فى سخط :

ــ فلتذهبوا إلى الجحيم .

تنهَّدت (منى) فى ارتياح ، وهتفت :

ــ هيًا بنا يا (أدهم) .

أجابها (أدهم) فى هدوء حازم :

ــ أسرعى أنت و(قدرى) إلى السيارة يا (منى) ، وحاولى أن تعودى بها إلى الخلف ، وسألحق أنا بك .

تردَّدت (مني) لحظة فى تركه وحيدًا ، غير أنه حسم تردُّدها ، بلهجة آمرة :

ــ هيًا ..

وأسرعت (منى) وخلفها (قدرى) إلى السيارة ، فى حين غمغم (بن كريم) فى حَنَق :

ـ هل تظن أنكم ستنجون بهذا الأسلوب ؟

أجابه (أدهم) فى سخرية ، وقد وصل صوت محرّك السيارة إلى مسامعه :

ـ لست أظن أيها الوغد .. إننى واثق ، فلقد علمتنى خبراتى أن السيطرة على رأس الأفعى تشل جسدها كله .

كانت عيون الرجال تتابع تراجع (أدهم) فى سخط ، ولكن ذلك السخط تلاشى فجأة ، وحلَّت محله نظرة مترقِّبة ، قلقة ، جعلت (أدهم) يلتفت فجأة إلى الخلف ، وجعلته يرى ذلك الرجل الضخم ، الذى ينقضّ عليه فى وحشية ، وهو يرفع هراوته ، ليهوى بها على رأسه ، بكل ما يملك من قوة .

* * *

من حسن حظ (أدهم صبرى) ، أو من سوء حظ (بن كريم) ، أن الله (سبحانه وتعالى) قد حبا (أدهم) بموهبة نادرة ، ألا وهى سرعة الاستجابة الخرافية ، لأى مؤثر خارجىّ ، بالإضافة إلى شجاعة عجيبة ، تجعله لا يرهب أشد المواقف ، أو أخطر الأمور ..

ولقد كان لهذا المزيج أثر مذهل فى تلك اللحظة ..

إن مرأى الهراوة الضخمة ، ذات الأطراف الحديدية

البارزة ، وهى تهوى بكل هذه القوة ، لم يثر فى نفس (أدهم) أدنى خوف ، وإنما أطلق العنان لغريزته ، وحسن تدبيره للأمور ..

وفى جزء من أعشار الثانية ، اتخذ (أدهم) قراره الدفاعى ، وفى جزء آخر تخلَّى عن عنق (بن كريم) ، وقفز جانبًا ، وترك الهراوة الضخمة تهوِى بكل ثقلها ، وبكل قوة حاملها ، على رأس هذا الأخير ، الذى جحظت عيناه فى ذهول وألم ، وتحوَّلت جمجمته إلى كُومَة من العظام واللحم والدماء ، وتهتَّك مخه وسط هذه الكُومَة المَفْرِيَة ، وسقط جثة هامدة ، بالأسلوب نفسه الذى أراده لـ (أدهم) ورفيقيه ..

أمَّا (أدهم) ، فقد تحرَّك بتلك السرعة المذهلة ، التى تميِّزه عن كل محترفى القتال فى العالم ، وحطَّم عنق المهاجم بلكمة ساحقة ، ماحقة ، جعلت الرجل يطلق خوارًا عجيبًا ، ويمسك عنقه بذراعه فى قوة ، ثم يسقط أرضًا ، وهو يحاول التقاط ذرة واحدة من الهواء ..

وفجأة .. صرخ الرجال كلهم صرخة وحشية ، ارتجت لها أركان ذلك الحىّ التونسى القديم ، وانقضُّوا على (أدهم) فى شراسة هائلة ، وفى ذهن كل منهم هدف واحد ..

قتل (أدهم صبرى) ..

* * *

مرّة أخرى كان (أدهم) يقاتل العشرات ، ولكن هذه المرّة كان الأمر يختلف ..

كان الهجوم يأتى من اتجاه واحد ، وكان الطريق شديد الضيق ، حتى أن (أدهم) بدا وكأنه يقاتل الرجال واحدًا بعد الآخر ..

ومرّة أخرى أثبت (أدهم صبرى) أنه يستحق عن جدارة لقب (رجل المستحيل) ..

لقد كان يتفادى الضربات فى مهارة مذهلة ، وهو يتراجع إلى الخلف ، وقبضتاه تحطمان الأعناق ، والأنوف ، والفكوك ، وتلقيان بالأجساد المهاجمة فى طريق الآخرين ..

ثم فجأة استدار (أدهم) ، وانطلق يعدُو بسرعة عجيبة ، أربكت مهاجميه ، وجعلتهم يستغرقون وقتًا طويلاً فى عبور أجساد زملائهم ، قبل أن ينطلقوا خلفه ، عَبْرَ الطرقات الضيقة ..

ولكنهم لم يلحقوا به أبدًا ..

لقد كانت (منى) تنتظره داخل السيارة ، وقد تركت له مقعد القيادة ، فى حين جلس (قدرى) فى المقعد الخلفى يرتعد .. وفى قفزة ماهرة ، احتل (أدهم) مقعد القيادة ،

وانطلق بالسيارة وسط الطرقات الضيقة ، وهو يقول فى سخرية :

ـ يبدو أننا قد حققنا رقمًا قياسيًا جديدًا يا رفاق ، ولابدَّ أن نبرق به للمشرفين على إعداد موسوعة (جينس)(*) .

غمغم (قدرى) ، وقد خفَّ ارتعاد جسده :

ـ بل أنت فعلت يا (أدهم) .. أنت هزمت جيشًا من الرجال وحدك و .....

وبتر عبارته فجأة .. واتسعت عيناه مع شهقة الرعب ، التى انطلقت من فم (منى) ، فلقد برزت فجأة سيارة قوية ، أغلقت أمام سيارتهم المخرج الوحيد من حىّ الموت .

* * *



(*) موسوعة شهيرة ، تقدم الأرقام القياسية فى كل المجالات ، حتى فى أكل الحلوى .

٦ ـ الجولة الثالثة فى (برشلونة) ..

لم ترتجف أطراف (أدهم صبرى) لحظة واحدة ، ولم يفقد سيطرته على عجلة القيادة ، أمام السيارة التى أغلقت طريقه ، بل درس المسافة التى تفصله عنها فى سرعة ، تفوق سرعة السيارة ، وتعلّقت عيناه بصندوق خشبى صغير ، ملقى فى إهمال على جانب الطريق ، ووضع (أدهم) خطته ..

لقد انطلق بالسيارة على أقصى يسار الطريق الضيق ، بحيث لم تكن تفصله عن جداره سوى مسافة تكفى لعبور ورقة سميكة .. وترك عجلات السيارة الأمامية ترتفع فوق بداية الصندوق الخشبى ، ثم ضغط دوّاسة الوقود بأقصى ما يملك من قوة ، حتى كاد يخترق به أرضية السيارة ..

ورأى سكان ذلك الحىّ الشعبى فى (تونس) مشهدًا مذهلاً ..

رأوا سيارة (أدهم) تقفز فى الهواء ، وتطير فوق السيارة الأخرى ، التى تسد مخرج الطريق ، ثم تهبط وسط الشارع ، وترتطم به فى قوة ، وتدور حول نفسها على نحو بالغ الخطورة ، حتى أنها كادت ترتطم بسيارة مندفعة ، لولا أن نجح قائدها فى تفاديها بصعوبة بالغة ، ثم انطلقت سيارة (أدهم) كالصاروخ ،

تاركة سكان الحىّ فى ذهول ، لن يفارقهم إلّا بعد وقت طويل جدًّا ..

وهتف (قدرى) فى ذهول :

ــ يا إلٰهى !! .. لم أكن أظن أبدًا أن هذا يحدث فى عالم الواقع .. لقد كنت أظنه حكرًا على أفلام المغامرات الأمريكية .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقود السيارة فى براعة ، ويقول فى هدوء :

ــ لا تنس أننى فعلت ذلك على الشاشة الأمريكية أيضًا يا صديقى البدين(*) .

زفرت (منى) فى قوة ، وهى تهتف :

ــ يا إلٰهى !! .. لقد نجونا هذه المرَّة بأعجوبة .. بل بمعجزة .

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال فى هدوء :

ــ ولقد انتصرنا فى الجولة الثانية يا عزيزتى .

★ ★ ★

(*) راجع قصة (المخاطر) .. المغامرة رقم (٤٣) .

ألقى (فولسونج) سيجاره فى غضب هائل ، وهو يصرخ :
ـ قتل (بن كريم) .. أيّة منظمة هذه التى أتزعمها ؟!.. كيف تفشل كلها فى عملية قتل رجل واحد ؟
غمغم (هنريك) فى غيظ :
ـ إنه ليس رجلاً عاديًّا يا مستر (فولسونج) .. إنه شيطان .
ولوَّح (فولسونج) بذراعيه ، وهو يصرخ :
ـ حتى الشياطين لا يمكنها أن تقاتل على هذا النحو .. أى رجل هذا ؟
مطَّ (هنريك) شفتيه ، وهو يقول فى سخط :
ـ لست أدرى يا مستر (فولسونج) .. إنه يعلم أن السفينة ملك لنا ، وأن مواصلته الرحلة تعنى مزيدًا من الخطر ، ولكنه على الرغم من ذلك عاد إليها هادئًا مبتسمًا ، وكأنه سائح عادىّ ، أعجبته المدينة .
صاح (فولسونج) فى حَنَق :
ـ لن يستمر ذلك طويلًا .
سأله (هنريك) فى قلق واهتمام :

ـ هل نصدر الأوامر لرجالنا بالتخلُّص منه فى (الجزائر) ؟
عقد (فولسونج) حاجبيه مفكّرًا ، وشبَّك أصابع كفَّيه أمام وجهه فى عصبية ، ثم غمغم :
ـ لا يا (هنريك) .. إنه سيتوقّع ذلك ؛ لذا فلن نُقدم عليه .. سنتركه يستمتع برحلته حتى (برشلونة) .
غمغم (هنريك) فى حَيْرة :
ـ ولكنه سيتوقَّع أن نهاجمه هناك أيضًا .
عض (فولسونج) شفته السفلى فى غضب ، وهو يقول :
ـ لن نهاجمه وحدنا يا (هنريك) هذه المرَّة .. فهناك من يحلُم بالثأر من (أدهم صبرى) فى (إسبانيا) ، وأعتقد أنه سيشكر لنا منحه هذه الفرصة المثالية .
ثم رفع عينيه إلى (هنريك) ، واستطرد فى صرامة :
ـ استعد يا (هنريك) .. سنسافر فورًا إلى (إسبانيا) ، وسنحاول إعداد فخ محكم لذلك الشيطان المصرى هناك ، وأرجو أن نربح نحن الجولة الثالثة فى (برشلونة) .

★ ★ ★

تمدَّدت حسناء ، فى أوائل الثلاثينات من عمرها ، فوق

مقعد قماش طويل ، أمام حوض سباحة بالغ الأناقة ، يتوسَّط حديقة قصر رائع الجمال ، فوق أعلى ربوة فى مدينة (لشبونة) ، ويطلّ من موقعه على البحر المتوسط ، حيث تلتقى الأمواج الناعمة برمال الشاطئ فى حُنُوٍّ وهدوء ، وكانت الحسناء تخفى وجهها بقبَّعة عريضة الأطراف ، ينسدل فيها شعرها الأسود الفاحم ، البالغ النعومة والسواد ، فى حين استلقت ساكنة داخل ثوب استحمام من قطعتين ، وكأنها تحاول إكساب بشرتها القمحية لونًا داكنًا ، كعادة فتيات (أوروبا) فى فصل الصيف ..

كانت الفتاة تبدو كالنائمة ، حينما تقدَّم منها شاب مفتول العضلات على نحو واضح ، مجعَّد الشعر ، كثيفه ، يتوسط وجهه الوسيم شارب ضخم ، مهذَّب فى عناية وأناقة ، وقال فى اهتمام :

ـــ هناك رجل يطلب مقابلتك على وجه السرعة يا (ماريانا) .

مضت لحظة من الصمت ، خُيِّل للشاب خلالها أن تلك التى خاطبها باسم (ماريانا) ، لم تسمع حرفًا واحدًا مما نطق به ، إلّا أنها أزاحت القبعة التى تخفى وجهها فى هدوء ،

وتطلَّعت إليه بعينيها الساحرتين ، الخضراوين ، وهى تغمغم فى هدوء :

ـــ أهو ذلك الذى وصل إلى ساحة القصر ، على متن هليوكوبتر ؟

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال وهو يبتسم فى إعجاب :

ـــ هذا صحيح يا (ماريانا) .. لا يفوتك شىء أبدًا .

ظهر الضجر على وجهها ، وهي تنهض قائلة:

ـــ يفُوتنى؟!.. ماذا تظننى يا(ماريو) ؟.. لوح من الصلب؟.. لقد عبر هذا الرجل بالهليوكوبتر على ارتفاع عشرين مترًا فوق رأسى، وكانت مروحة الهليوكوبتر تصدر صوتًا شديد الإزعاج، ولقد رأيته وهو يهبط فى ساحة القصر .. فهل من العسير أن أستنتج أنه هو الذى يطلب مقابلتى؟

ارتبك (ماريو) ، وغمغم :

ـــ إننى لم .. إننى لم أقصد يا شقيقتى العزيزة .. لقد ....

قاطعته فى صرامة :

ـــ ماذا تعنى بشقيقتك العزيزة يا (ماريو) ؟.. ألست أحمل لقبًا خاصًّا ينبغى على الجميع مخاطبتى به ؟

ابتسم (ماريو) فى توتُّر واضح ، وهو يغمغم :

ـ لم أظن أن هذا ينطبق علىَّ ، فأنا شقيقك يا ....

حدجته بنظرة نارية ، جعلت نبراته تخفت فجأة ، وهو يغمغم فى شحوب :

ـ يا دونا (ماريانا) .

ارتسمت على شفتيها ابتسامة ظافرة ، وهى تقول :

ـ حسنًا يا (ماريو) .. الآن يمكننى مقابلة الرجل .

★ ★ ★

انحنى (تيدى فولسونج) يقبِّل أنامل دونا (ماريانا) فى ديبلوماسية ، وتركت هى كفَّها فى راحته ، وهى تتفرَّس ملامحه فى إمعان ، ثم وضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى ، وقالت فى هدوء :

ـ تسعدنى مقابلتك يا سنيور (فولسونج) ، ولكن تلك الطبيعة الأنثوية الفضولية فى أعماق ، تدفعنى لأن أتخلَّى عن كل قواعد الذوق واللياقة ، وحسن الضيافة ، وأسألك مباشرة : ماذا تريد ؟

ابتسم (فولسونج) ، وهو يقول :

ـ من حسن الحظ أننى أحب الأساليب المباشرة ، وأقدِّرها يا عزيزتى .. فنحن نعمل تقريبًا فى المعسكر نفسه .

ابتسمت فى خبث ، وهى تقول :

ـ أى معسكر تقصد يا سنيور (فولسونج) ؟

اعتدل (فولسونج) ، وهو يقول فى فخر :

ـ الذى يقف أمامك الآن هو (تيدى فولسونج) ، الزعيم الأكبر لـ (سكوربيون) .

رفعت (ماريانا) حاجبيها فى دهشة ، ثم عادت تخفضهما ، وهى تقول فى هدوء :

ـ وماذا تريد منظمة قوية مثل (سكوربيون) ، من فتاة بسيطة مثلى ؟

ابتسم (فولسونج) فى مكرٍ ، وقال فى بطء :

ـ لقد أتيت أعرض تعاوننا ، من أجل القضاء على رجل يدعى (أدهم صبرى) .

اكتست ملامح دونا (ماريانا) بغضب هائل ، واعتصرت قبضتها حول مسند مقعدها فى قوة ، وهى تغمغم فى كراهية لا مثيل لها :

ـ (أدهم صبرى) ؟ !

واكتسب صوتها صلابة الفولاذ ، وقسوة الصلب ، وهى تستطرد :

ـ ماذا تعرف عنه ؟.. ماذا تعرف عن هذا الشيطان ؟
ابتسم (فولسونج) فى برود ، وهو يقول :
ـ يبدو أنك تبغضينه للغاية يا دونا .
حدَجَته بنظرة قاسية ، وهى تقول فى صرامة عجيبة :
ـ كيف لا يا سنيور (فولسونج) ؟.. لقد تسبَّب فى مصرع شقيقتى الكبرى .
ثم أردفت فى كراهية :
ـ تسبَّب فى مصرع دونا (ماريا)(*) .

* * *



(*) راجع قصتى (بريق الماس) و (حلفاء الشر) .. المغامرتين رقم (٧) و(١٢) .

٧ ـ شقيقة الأفعى ..

استنشق (أدهم صبرى) دفقة من الهواء النقى ، ملأ بها صدره ، ثم أفرغها فى زفرة قويَّة ، وابتسم قائلاً :
ـ يا له من جو صحى ، يخلُو من هواء المدن الملوَّث !!
غمغمت (منى) فى شحوب :
ـ لا يوجد هواء ملوَّث ، ولكن توجد أطنان من الرصاص .
ضحك (أدهم) ، وهو يقول :
ـ ماذا بك يا عزيزتى ؟ لقد قضينا يومين فى (تونس) دون مشاكل .. وسافرنا إلى (الجزائر) ، وقضينا هناك يومين آخرين ، دون أن نتعرَّض لخطر واحد .. وها نحن أُولاء نصل إلى (برشلونة) فى أمان .
أشاحت (منى) بوجهها ، وهى تقول فى توتُّر :
ـ كم أكره هذه الرحلة .. لقد فقدت متعتى تمامًا أمام هذا الشعور السخيف بالخطر ، الذى يتهدَّدنى دائمًا .
وهتف (قدرى) فى حَنَق :
ـ إنها على حقّ يا (أدهم) .. أنا أيضًا أصبحت أشعر وكأننى أنتظر لحظة مصرعى .

ظهر الضّيق على وجه (أدهم) ، وقال :

ــ يبدو أننى تصرَّفت بأنانية بالغة يا رفاق .. إننى أعرِّضكما للخطر لمجرَّد رغبتى فى تحدِّى هؤلاء الأوغاد .

ثم التفت إليهما ، قائلاً فى حزم :

ــ ستعودان إلى القاهرة فى أول طائرة تغادر (برشلونة) .

قالت (منى) فى صرامة :

ــ سنعود معًا ، أو نبقى معًا .

صمت (أدهم) وكأنه يفكِّر فى قولها ، ثم غمغم فى هدوء :

ــ فلننطلق إلى المطار أولاً ، وسنتخذ قرارانا فى الطريق .

* * *

خفض (ماريو) منظاره المقرِّب عن عينيه ، والتفت إلى دونا (ماريانا) ، قائلاً :

ــ لقد غادرا السفينة يا دونا .

وضعت (ماريانا) طرف مبسمها الطويل بين شفتيها ، وهى تسأله فى بُغض :

ــ هل تصحبه زميلته ذات الشعر الأسود ؟

أومأ (ماريو) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم يا دونا ، ومعهما رجل بالغ البدانة .

نفثت (ماريانا) دُخان سيجارتها فى غضب ، وهى تقول :

ــ هذه الحقيرة هى التى قتلت شقيقتنا يا (ماريو) ، وسيكون عليها أن تدفع الثمن .

عقد حاجبيه ، وهو يقول متظاهرًا بالصرامة :

ــ هل نطلق عليها الرصاص ؟

مطَّت (ماريانا) شفتيها فى امتعاض ، وهى تقول :

ــ من قتلت (ماريا) لا يمكن أن تموت بهذه البساطة .

ثم أردفت فى شراسة :

ــ أنا سأجعلها تتمنَّى الموت ألف مرَّة ، قبل أن أرسلها فى رحلة بلا عودة إلى الجحيم .

غمغم (ماريو) :

ــ وماذا عن (أدهم صبرى) ؟

تألَّقت عينا دونا (ماريانا) فى وحشية ، وهى تقول :

ــ اتركه لى يا (ماريو) .. سأجعله يندم على ما فعله لشقيقتنا ، ولكنه لن يجد الوقت الكافى ليؤنبه ضميره على فعلته ، فرحلته إلى الجحيم أقرب مما يمكن أن يتصوَّر .

* * *



نفثت (ماريانا) دُخان سيجارتها فى غضب ، وهى تقول :

ــ هذه الحقيرة هى التى قتلت شقيقتنا يا (ماريو) ..

انطلقت سيارة من سيارات الأجرة نحو مطار (برشلونة) ، وغمغم سائقها فى ضجر ، دون أن يلتفت إلى (أدهم) ، و (قدرى) ، و (منى) ، الذين يجلسون فى السيارة :

ــ مجانين هؤلاء السائحين .. إنها أول مرَّة أُقلّ فيها بعضهم من الميناء إلى المطار مباشرةً .

كان يغمغم بالإسبانية الدارجة ، ولقد شعر بدهشة عارمة ، حينما أجابه (أدهم) باللهجة نفسها ، وفى صوت أقرب إلى السخرية :

ــ لو أن سيارتك تمتلك جناحين ، لجعلناك تصحبنا إلى القاهرة دفعة واحدة يا رجل .

هتف السائق فى دهشة :

ــ أأنت إسبانى ؟!.. معذرة يا سنيور لقد ظننتك أحد السائحين .. فلقد كنت تتحدَّث مع السيِّد والسيِّدة بلغة غير مفهومة و ......

قاطعه (أدهم) فى هدوء :

ــ لا يا عزيزى .. لست إسبانيًا .. أنا مصرى .

اتسعت عينا السائق ، وهو يهتف فى ذهول :

ـ هذا مستحيل .. إنك تتحدَّث الإسبانية فى طلاقة أبنائها ، ولولا أنك .....

وفجأة .. انطلقت سيارة كبيرة من طريق جانبى ، واندفعت نحو سيارة الأجرة ، فانحرف سائقها بسيارته ، وهو يصرخ فى سخط :

ـ أيها المجنون ، ماذا تفعل ؟.. أين تعلَّمت القيادة ؟

ولكن مهارته فى القيادة لم تمنع اصطدام السيارتين ، وتوقفهما ، فقفز سائقاهما خارجهما ، وأخذا يتبادلان السباب والشتائم الساخطة ، وكل منهما يلقى اللَّوم على الآخر ، فضحك (أدهم) ، وهو يقول :

ـ هيَّا بنا يارفاق .. إن هذه المشاجرة لن تنتهى أبدًا ، فأنا أعلم كيف يتشاجر الإسبان .

ولم يكد الثلاثة يغادرون سيارة الأجرة ، حتى برزت إحدى سيارات الشرطة فجأة ، وهبط منها ثلاثة رجال ، تقدَّم أحدهم إلى موقع الحادث ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ماذا حدث ؟

اندفع سائقا السيارتين يقصَّان عليه ماحدث بكلمات صارخة ، غاضبة ، ساخطة ، فأوقفهما بإشارة حازمة ، وقال :

ـ هل هناك شهود ؟

أشار سائق سيارة الأجرة إلى (أدهم) ، و (منى) ، و (قدرى) ، وقال :

ـ هاهم أولاء شهودى أيها الشرطى .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ إننا نريد اللّحاق بالطائرة أيها السائق و .....

قاطعه الشرطى فى حزم :

ـ إنها شهادة بسيطة ياسنيور ، لن تستغرق أكثر من عشر دقائق فى نقطة شرطة قريبة .. وأعدكم بالانصراف فى أسرع وقت .

ثم أشار إلى سيارة الشرطة ، وقال :

ـ وستوصلكم سيارتنا إلى نقطة الشرطة ، ثم إلى المطار ، وستصلون فى موعد طائرتكم بالضبط .

★ ★ ★

تألَّقت عينا دونا (ماريانا) فى فخر وظفر ، وهى تضع سمَّاعة الهاتف ، قائلةً :

ـ لقد سقطوا فى الفخ .

هتف (ماريو) فى انفعال :

ـ هل ألقت الشرطة القبض عليهم ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ إنهم لا يعلمون أن بعض رجال شرطة (برشلونة) يعملون لحسابنا ، وأن حادث السيارة كان متعمَّداً ، ولن ينتبهوا إلى ذلك إلا بعد أن يكونوا قد خسروا كل شيء .

ابتسم (ماريو) فى إعجاب ، وهو يقول :

ـ أنت عبقرية يا دونا .. أنت تستحقين الزعامة .

تأمَّلته (ماريانا) ، وهى تغمغم فى سخرية :

ـ هذا صحيح يا (ماريو) ، فمن المضحك أن قوانين الوراثة قد منحت كل ذكاء والدينا للنساء ، وتركت قوتهما للرجال .

عقد حاجبيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ـ ماذا تقصدين يا دونا ؟

ابتسمت فى سخرية ، وهى تقول :

ـ لا عليك يا عزيزى (ماريو) .. إنك لن تفهم أبدًا .

ثم استطردت وهى تخلط وحشيتها بسخريتها :

ـ تمامًا كما سيحار هذا الشيطان المصرى فى فهم ما يحدث داخل أقسام الشرطة فى (برشلونة) .

وأطلقت ضحكة عالية ، قبل أن تردف :

ـ وداخل مقابرها .

وعادت تطلق ضحكتها الساخرة الشرسة ..

★ ★ ★

٨ ـ السجن ..

أرخى مأمور قسم الشرطة قبعته الرسمية فوق عينيه ، وهو يتأمل (أدهم) و (قدرى) و (منى) فى برود ، ثم سأل الشرطى الذى أحضرهم :

ـ ماذا هناك ؟

أجابه الشرطى فى هدوء :

ـ إنهم شهود حادث طريق ياسيِّدى .

ابتسم المأمور ابتسامة مقيتة ، وقال :

ـ حسنًا .. اذهب بالفتاة إلى واحِدة من فتيات الشرطة لاستجوابها ، واترك لى الرجلين .

استسلمت (منى) للشرطى ، وهو يصحبها إلى حجرة جانبية ، فى حين قال (أدهم) للمأمور فى حزم :

ـ إننا مواطنون مصريون أيها المأمور ، وليس من حقِّك احتجازنا هنا .

عاد المأمور يبتسم نفس الابتسامة المقيتة ، وهو يقول :

ـ لا عليك يا سيِّدى .. إنه استجواب بسيط .

ثم صاح فى غلظة :

ـ أين المستجوبون ؟.. أين رجال التحقيقات ؟

أسرع إلى الحجرة خمسة أشخاص فى ثياب الشرطة ، وهتف أحدهم وهو يؤدى التحية الرسمية :

ـ فى خدمتك ياسيّدى المأمور .

أشار المأمور إلى (أدهم) و (قدرى) فى لامبالاة ، وقال :

ـ إنهم شهود حادث طريق ، أريد استجوابهم بسرعة ، حتى يمكنهم اللّحاق بطائرتهم .

تردّد الرجل لحظات ، ثم قال :

ـ لا توجد حجرات خالية فى الوقت الحاضر يا سيّدى ، ولا يمكننى استجوابهما هنا .

مطّ المأمور شفتيه ، وأشار إلى زنزانة مجاورة لمكتبه فى لامبالاة ، وهو يقول :

ـ هذه الزنزانة خالية ، يمكنكم استجوابهما فيها ، ما لم يعترضا على ذلك .

هزّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

ـ لا يهمنى أن يتم استجوابنا أيها المأمور .. المهم أن ينتهى هذا الأمر بسرعة .

أومأ أحد المستجوبين برأسه علامة الفهم ، وقال فى احترام :

ـ حسنا يا سنيور .. تفضّلا .

تقدّم (أدهم) فى خطوات سريعة إلى الزنزانة الخالية ، وتبعه (قدرى) ، وهو يغمغم فى سخط :

ـ وماذا كنتم ستفعلون ، لو أننا نحن المتسبّبون فى الحادث ؟

على أنه لم يكد يخطو داخل الزنزانة ، حتى دوّى صوت بابها ، وهو ينغلق خلفهما فى قوة ، وارتفعت ضحكة المأمور الساخرة ، مما فجّر غضبًا هائلاً فى أعماق (أدهم) ، ودهشة عارمة فى نفس (قدرى) ، الذى هتف فى ذهول :

ـ ماذا يحدث هنا ؟

برقت عينا المأمور فى شراسة ، عبْر قضبان الزنزانة ، وهو يقول فى لهجة شامتة ساخرة :

ـ أأنت إذن الشيطان المصرىّ ، الذى يصفونه بأنه (سوبرمان) القرن العشرين ؟.. يالهم من أغبياء !! هاأنتذا قد سقطت فى الفخ كالغر الساذج .

شعر (أدهم) بكلمات المأمور الساخرة تمزّقه كالسياط ، وتبيّن له كم كان ساذجًا ، وهو يسقط فى الفخ بهذه البساطة ، وانطلق غضبه عبْر شفتيه فى هتاف ساخط :

ـ أيها الحقير .

أطلق المأمور ضحكة ثانية مجلجلة ، وقال :

ـ قُل ما بدا لك أيها الشيطان السابق ، فسيتم ترحيلك بعد ساعتين إلى السجن ، بتهمة قتل موظف كبير ، بمعاونة هذا البدين .. أمّا فى هذه اللحظة ، فزميلتك الحسناء ترقد فى سيارة إسعاف ، مخدَّرة ، وتتجه إلى قصر دونا (ماريانا) .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يغمغم فى توتُّر :

ـ دونا (ماريانا) .. ماذا تعنى ؟

رفع المأمور حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، ثم عاد يقول فى سخرية :

ـ ألا تعرف دونا (ماريانا) ؟.. عجبًا !! إنها تعرفك جيِّدًا ، وتدَّعى أنك المسئول عن مصرع شقيقتها .. زعيمة الماس السابقة دونا (ماريا) .

شهق (قدرى) فى رعب ، وغمغم (أدهم) فى توتُّر بالغ :

ـ شقيقة دونا (ماريا) .. يا إلٰهى!! .. لقد انتهت (منى) .

★ ★ ★

تنهَّد (قدرى) فى يأس ، والتفت إلى (أدهم) ، الذى

يجلس صامتًا ساكنًا ، فى ركن الزنزانة ، وقد اعتمد رأسه على ركبتيه المضمومتين ، وغمغم (قدرى) فى ألم :

ـ لقد وقعنا فى الفخ كالسذج .

أجابه (أدهم) فى صوت بائس منخفض :

ـ لقد أوقعتكم فى هذا المأزق بسبب أنانيتى ، وإصرارى على مقاتلة الجميع يا (قدرى) .. ولو أصاب (منى) أدنى مكروه ، فلن أغفر لنفسى أبدًا .

هتف (قدرى) فى ذُعر :

ـ هل تعتقد أن (ماريانا) هذه ستـ ...... ؟

قاطعه (أدهم) فى ألم :

ـ منذ عامين تقريبًا قفزت (منى) بسيارتها فوق منحدر خطر فى السويد ، وهبطت فوق سيارة دونا (ماريا) ، شقيقة (ماريانا)، فقتلتها، وسقطت هى نفسها أسيرة غيبوبة طويلة، لشهور عديدة(*) .

غمغم (قدرى) فى توتر :

ـ إننى أذكر ذلك يا (أدهم) .

واصل (أدهم) حديثه ، وكأنه لم يسمع عبارة قدرى :

(*) راجع قصة (حلفاء الشر) .. المغامرة رقم (١٢) .

ــ واليوم نجحت (ماريانا) فى اقتناص الفتاة ، التى قتلت شقيقتها ، ولست أشك فى أنها تعد لها انتقامًا رهيبًا .

شحب وجه (قدرى) المكتظ ، وهو يغمغم :

ــ ياإلهى.. وماذا سنفعل؟.. ماذا سنفعل يا(أدهم)؟

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع صوت المأمور يقول :

ــ ستذهبان إلى السجن .

التفتا إلى ابتسامته الساخرة ، وإلى باب الزنزانة الذى فُتِحَ ، وإلى فُوَّهات المدافع الرشاشة الخمسة ، التى أطلَّت منه ، والمأمور يستطرد :

ــ هيَّا .. لا يوجد وقت نضيِّعه ..

نهض (أدهم) ، وهو يقول فى هدوء أدهش (قدرى) نفسه :

ــ نعم .. هيَّا بنا يا (قدرى) ، فلا يوجد وقت نضيِّعه .

تبعه (قدرى) فى استسلام، وتركا المأمور يحيط معصميهما بالأغلال ، ثم سارا وسط المدافع الرشاشة الخمسة إلى خارج القسم ، حيث وجدا سيارة مصفحة من سيارات السجن تنتظرهما ، وأمامها جنديان ، يصوِّبان إليهما فُوَّهتى مدفعين رشاشين ، فى حين قال المأمور فى صرامة ساخرة :

ــ هيًا .. اصعدا إلى السيارة المصفَّحة .

التفت إليه (أدهم) ، وقال فى برود :

ــ هذه السيارة لا تَرُوق لى .

ابتسم المأمور فى سخرية ، وقال :

ــ هل تفضل (الرولزورويس) ؟ أم .....

ولكن عبارته لم تكتمل ، فقد تحرَّك (أدهم) فجأة ، وركل أنف المأمور بكل ما يملك من قوة ، ثم استدار يواجه فُوَّهات المدافع الرشاشة السبعة .

★ ★ ★



٩ ـــ الثلاثة فى خطر ..

ارتفعت فوَّهات المدافع الرشاشة فى سرعة البرق نحو (أدهم) ، ولكنه تحرَّك فى سرعة مذهلة ، فانحنى والتقط جسد المأمور ، ورفعه أمامه كدرع واقٍ ، مما جعل الرجال يتردَّدون لحظة فى إطلاق النار ، فصاح (أدهم) :

ـــ اهرب يا (قدرى) .. إنها فرصتنا الوحيدة .

انطلق (قدرى) يعدُو فى خفَّة ، على الرغم من بدانته المفرطة ، فى حين هاجم خمسة من الحراس (أدهم) ، الذى دفع جسد المأمور نحوهم ، ثم قفز عاليًا ، وركل أنف أحدهم ، وفك الثانى ، قبل أن يهبط على قدميه ، ويضمّ قبضتيه ، ثم يهشم بهما أسنان الثالث ، وعنق الرابع ، ويهوى بهما على مؤخرة عنق الخامس ..

فعل كل هذا فى ثانية واحدة ، والأغلال الحديديَّة تحيط معصميه ، ثم غاص إلى أسفل ليتفادى رصاصة أحد الحارسين الآخرين ، وعاد ينتصب فى قوة ، ويحطِّم فكَّ أحدهما بلكمة ساحقة ، ثم يهشّم فكَّ الثانى بأخرى مشابهة ..

كانت الضربات تكفى لإسقاط الرجال ، ولكنها لا تكفى لإفقادهم الوعى ؛ لذا فقد تحرَّك (أدهم) فى سرعة ، وانطلق

يعدُو نحو نفس النقطة ، التى جرى إليها (قدرى) ، وقفز خلف إحدى السيارات ، ثم انحرف فى مدخل بناية مجاورة ، وصعد سُلَّمها فى قفزات قوية ، حتى وصل إلى السطح ، فتوقَّف يقيس المسافة التى تفصله عن سطح المبنى المجاور ، وغمغم فى حزم :

ـــ هيَّا يا (أدهم) .. ضع إرادتك كلها فى هذه القفزة ، وإلّا فقدت (منى) إلى الأبد .

ثم تراجع خطوة إلى الوراء ، واندفع يجرى نحو حافة السطح ، ثم قفز فى الهواء ، وبدت له المسافة التى تفصله عن السطح الآخر كبيرة .. كبيرة .. كبيرة ..

* * *

شعرت (منى) بالدُّوار الشديد ، الذى يكتنف عقلها ، ينحسر تدريجيًّا فى بطء ، وحاولت فتح عينيها ، إلّا أن أجفانها بدت لها ثقيلة لبعض الوقت ، ولم تكد تنجح فى مزجهما قليلاً بعد لأى ، حتى تسلَّلت إلى عينيها أشعة ضوء قوىّ ، جعلتها تعود لإغلاق جفنيها . وهى تغمغم فى ألم :

ـــ أين أنا ؟.. ماذا يحدث هنا ؟

تسلَّل إلى مسامعها صوت ساخر يقول :

— أنت فى الجحيم أيتها المصرية .

دفعتها العبارة إلى فتح عينيها فى دهشة ، والحملقة فى وجه دونا (ماريانا) فى ذهول ، قبل أن يتحوَّل ذهولها إلى ذُعر ، وهى تهتف :

— يا إلٰهى !!.. هذا مستحيل !!.. أنت .. أنت!..

قاطعتها (ماريانا) فى حقد :

— كلَّا .. أنا لست هى .. إننى أشبهها فحسب .. أشبه ضحيتك أيتها القاتلة .

تلفَّتت (منى) حولها فى ذُعر ، وهى تهتف :

— أين أنا ؟

ابتسمت (ماريانا) ابتسامة ساخرة شرسة ، ودسَّت سيجارة ملوَّنة فى طرف مبسمها الطويل ، وأسرع (ماريو) يشعل السيجارة ، وهى تدس الطرف الآخر للمبسم بين شفتيها ، ثم نفثت دُخانها فى عمق ، قبل أن تقول :

— ألم أقل لك أيتها المصرية ؟.. أنت فى الجحيم .. جحيم دونا (ماريانا) .

شعرت (منى) بخوف شديد ، خاصّة حينما تنبَّهت إلى أنها مقيَّدة فوق مائدة تشبه موائد العمليات الجراحية ، وسط

حجرة عارية الأثاث ، رطبة ، تفوح فيها رائحة عطنة ، فقالت فى حدَّة :

— ماذا تريدين منِّى يا (ماريانا) ؟

قلَّبت (ماريانا) شفتيها ، وقالت فى شماتة :

— لقد قتلت شقيقتى دونا (ماريا) يا فتاة المخابرات المصرية ، وستدفعين الثمن .

عقدت (منى) حاجبيها ، وهى تقول فى عناد :

— لقد كانت تستحق ذلك .

ظهر الغضب على وجه (ماريانا) لحظة ، ثم عادت تبتسم فى شراسة ، قائلة :

— يبدو أنك لا تعلمين المصير الذى أعددته لك يا فتاة المخابرات .

قالت (منى) فى صرامة :

— هذا لا يعنينى .

ابتسمت (ماريانا) فى سخرية ، وقالت :

— ربمًا .. ولكننى سأشرحه لك .

ومالت نحوها ، مستطردة :

— هل سمعت عن حجرة الفئران، التى نهدِّد بها

الأطفال ؟.. هذا المكان يا عزيزتى هو حجرة فئران حقيقية ، فنحن نحتفظ فى الفراغ بين جانبى كل جدار بمائتى فأر جائع .. أنهكها الجوع ، وحوَّلها إلى وحوش مفترسة ، تفعل المستحيل من أجل ما تتبلغ به ، وسأسكب بعض الدم على جسدك الجميل ، ثم أغادر الحجرة ، وأطلق الفئران .

وانطلقت من بين شفتيها ضحكة ساخرة عالية ، أثارت رجفة قوية فى جسد (منى) ، قبل أن تستطرد فى شماتة :

ــ وستكونين وجبة شهية لفئرانى أيتها الحسناء .

امتلأت نفس (منى) بالفزع والاشمئزاز والغضب ، وهى تقول :

ــ أيتها الحقيرة !!

ضحكت (ماريانا) فى سخرية ، وسكبت كأسًا من الدم على جسد (منى) ، وهى تقول :

ــ ادَّخرى صرخاتك يا فتاة المخابرات ، فستحتاجين إلى رصيد كبير منها ، حينما تنشب الفئران أنيابها فى جسدك ..

واتجهت إلى الباب ، وهى تقول :

ــ وداعًا .. وداعًا يا فتاة المخابرات المصرية ..

وانطلقت من حنجرتها ضحكة ساخرة ، شامتة ، وحشية .

★ ★ ★

انطلق (قدرى) يعدُو مبتعدًا عن منطقة صراع (أدهم) مع رجال الشرطة ، ولكن جسده البالغ البدانة جعله يلهث فى سرعة ، وتتقطع أنفاسه على بعد أمتار قليلة من المكان ، فألقى نفسه فى مدخل بناية عالية ، وسقط على الأرض يلهث فى ألم ، ويغمغم فى شحوب :

ــ يا إلٰهى !!.. يبدو أن البدانة صفة سيئة حقًا ..

وترك جسده البدين يسترخى ، وهو يواصل غمغمته :

ــ تُرى .. هل نجح (أدهم) فى الفرار ؟.. لاريب أنه نجح ، فهذا الشاب رائع ، على الرغم من عناده الشديد .

أخذ يلهث بعض الوقت ، ثم نهض فى صعوبة ، وهو يغمغم :

ــ أعتقد أنه من الأفضل أن أبتعد ، فهذه الأغلال فى معصمىَّ تثير الانتباه بشده ، على الرغم من بدانتى ، التى تعبِّر عن طيبتى .

وتحرَّك فى هدوء نحو مدخل البناية ، وقبل أن يختلس النظر خارجها ، فوجئ بفوَّهة مسدَّس أمام عينيه ، وبصوت صارم يهتف بالإسبانية :

ــ حذار أن تخطو خطوة واحدة أيها البدين ، وإلَّا صنعت

فى جسدك ثقوبا تكفى لإسالة شحوم جسمك كلها .

وفى حركة يائسة ، غريزية ، لطم (قدرى) اليد التى تمسك المسدّس ، ورآه يطير بعيدًا ، فدفع قبضتيه فى وجه الرجل ، وهو يهتف :

ـ ابتعد أيها الإسبانى .. إنه طريقى .

سقط الشرطى الإسبانى أرضًا ، وتخطّاه (قدرى) بقفزة ثقيلة ، ثم حاول أن يعدُو مبتعدًا ، إلّا أنه رأى شرطيًا آخر يندفع نحوه من الاتجاه المقابل ، وسمع صوت الشرطى الأول يصرخ فى غضب :

ـ توقّف أيها البدين .. سأطلق النار .. أنت الملوم .. سأطلق النار .





١٠ ـ قتال الشيطان ..

كانت المسافة التى تفصل بين البنايتين كبيرة ، ولكن قفزة (أدهم) كانت هائلة ، حتى أنه نجح فيما يشبه المعجزة ، فى الوصول إلى البناية الثانية ، ثم أخذ يلهث فى قوة ، وترك جسده يسترخى فى إرهاق ، حتى انتظمت أنفاسه ، فاعتدل ، ورفع معصميه أمام وجهه ، يتأمل القيد الحديدى ، وغمغم فى سخط :

ـ هل ظننتم أن هذا الشىء السخيف سيوقف (أدهم صبرى) أيها الأوغاد ؟

ثم قلب ياقة قميصه ، والتقط منها دبوسًا معدنيًا ، دسَّه فى قفل أغلاله الحديدية ، وأخذ يحرّكه فى مهارة ، حتى سمع صوت تكّة خافتة ، فابتسم فى ثقة ، وهو ينزع الأغلال من معصميه ، ويلقى بها بعيدًا ، ثم نهض واقفًا ، وقال فى حزم :

ـ والآن يبدأ صراعنا الحقيقى يا دونا (ماريانا) .

* * *

تجمدّت أطراف (منى) ، حينما بدأت تسمع صوت مخالب الفئران ، وهى تخمش الجدران ، وزاد ظلام الحجرة من ذُعرها

وتوتُّرها ، وخُيِّل إليها أنها تشم رائحة الفئران ، التى تملأ المكان ، فغمغمت فى رعب :

ــ أين أنت يا (أدهم) ؟.. هل ستتركنى هكذا ؟

ثم عادت تصمت ، وترهف سمعها ، فى محاولة لمعرفة كم تبقَّى على مصيرها ، وعاد جسدها يرتجف فى رعب هائل ، حينما التقطت أذنها أصوات الفئران ، ثم انتفضت فى قوّة ، عندما شعرت بأهداب رفيعة تمس وجهها ، وصرخت فى قوَّة :

ــ ابتعدوا .. ابتعدوا يا أحقر حيوانات الأرض .

وانفجرت تبكى فى حرارة ، وهى تقول لنفسها :

ــ سيعودون .. سرعان ما يتبيَّن لهم أننى عاجزة عن مواجهتهم ، وعندئذ سيهجمون بلا رحمة .. بلا رحمة ..

وعاد جسدها ينتفض من هول ذلك المصير المرعب ، وامتلأ عقلها بفكرة واحدة ..

(أدهم صبرى) ..

★ ★ ★

انهمك مأمور القسم فى تضميد أنفه المحطَّم ، وهو يغمغم فى سخط :

ــ اللعنة على هذا الشيطان .. لقد هشَّم عظام أنفى تمامًا بركلته .. لقد خُيِّل إلىَّ أن البناء قد انهار على أنفى .

وتأمل ضماداته فى مرآة صغيرة أمامه ، ثم عاد يقول فى غضب :

ــ ماذا تريد دونا (ماريانا) من هذا الشيطان ؟.. إنها ستتسبَّب فى مصرعنا جميعًا قبل أن تصل إليه ..

وفجأة .. تحجرَّت عيناه ، واتسعتا عن آخرهما ، وهو يحدِّق فى المرآة برعب هائل ، فقد رأى وراءه صورة الشيطان الذى حطَّم أنفه ..

صورة (أدهم صبرى) ..

وقفز المأمور فى رعب ، محاولاً التقاط مسدَّسه ، المعلَّق على الحائط ، ولكن قبضة (أدهم) كانت أسرع منه ، فقد أمسك بسترته الرسمية ، وجذبه إليه فى قوة فولاذية ، ثم لكَم أنفه فى قوة ، جعلت الدماء تعود لتلوِّث الضمادات النظيفة ، فدارت عينا الرجل فى محجريهما ، وهو يهتف فى ذعر :

ــ ماذا تريد منِّى ؟ .. كيف وصلت إلى هنا ؟

جذبه (أدهم) إليه فى قوَّة ، وقال فى صرامة :

ــ لم يتوقَّع أحدكم أن أعود إلى هنا .. أليس كذلك ؟

ارتجف المأمور ، وهو يقول فى صوت أقرب إلى البكاء :

ــ ماذا تريد منِّى يا سنيور ؟

سأله (أدهم) فى حزم ، حوَّل ارتجافة الرجل إلى رعشة قاتلة :

ـ أين أجد دونا (ماريانا) ؟

أجابه الرجل فى انهيار :

ـ فى قصرها يا سنيور .. أنا لم أفعل شيئًا .

قَال (أدهم) فى صرامة :

ـ سترشدنى إلى عنوان القصر أيها الوغد ، وإلَّا حطمت عنقك .. هيَّا .. فلا وقت نضيِّعه .

★ ★ ★

استلقى المأمور فاقد الوعى عند قدمى (أدهم) ، الذى ارتدى زِىّ رجال الشرطة ، ووضع على رأسه القبعة الرسمية للمأمور ، ثم وضع مسدَّسًا فى حزامه ، ودسَّ آخر فى جوربه ، وتأمل هيئته فى مرآة المأمور الصغيرة ، وغمغم فى سخرية :

ـ لن يمكننى خداع طفل صغير بتنكُّرى هذا ، ولكنه سيفى بالغرض على الأقل .

ثم نصب قامته ، واتجه فى خطوات ثابتة إلى خارج القسم ، وقفز داخل إحدى سيارات الشرطة ، وأدار محرِّكها ، فاندفع نحوه الشرطى المسئول عنها ، وهو يهتف :

ـ إلى أين أيها الضابط ؟.. إنها سيارتى .

رفع (أدهم) عينيه إليه فى صرامة ، وهو يقول فى شدة ، وبإسبانية سليمة :

ـ ألم تبلغك أوامر رئيسك أيها الشرطى المهمل ؟.. إنها مهمة عاجلة ، وسيارتك هى الوحيدة المعدَّة للانطلاق .

ارتبك الشرطى ، وغمغم فى تلعثم :

ـ ولكن هذه الأوامر لم تبلغنى قط يا سيِّدى و .....

قاطعه (أدهم) فى حِدَّة :

ـ هذا لأنك شرطى مهمل ، لاريب أنك لم تكن هنا ، حينما أمر رئيسك بذلك .

اعتدل الشرطى فى وقفته ، وغمغم فى قلق :

ـ حسنًا يا سيِّدى .. حسنًا .. هل تحب أن أقود أنا السيارة ؟

أجابه (أدهم) فى صرامة واقتضاب :

ـ لا ..

ثم انطلق بالسيارة ، قبل أن ينطق الشرطى بحرف واحد ، وتابعه الشرطى فى ارتباك ، حتى اختفى فى منعطف قريب ، ثم غمغم فى حَيْرة :

ـ ولكن مَنْ هو ؟.. إنها أول مرَّة أراه فيها هنا .

★ ★ ★

انطلق (أدهم) بسيارة الشرطة ، فى الطريق المؤدى إلى قصر دونا (ماريانا) ، وهو يحادث نفسه قائلاً :

ـ يا لك من مجازف يا (أدهم) !! إنك تقوم بما يطلق عليه ، فى عالم المخابرات ، اسم الهجوم الارتجالى ، فأنت لا تعلم شيئًا عن وكر هذه الأفعى .. لا عن أسلوب حراسته ، ولا وسائل الأمن فيه .. إنك لا تعلم حتى حجمه ، أو اتساع حديقته .

ثم ابتسم فى سخرية ، مستطردًا :

ـ ولكنك اعتدت هذا ، أو أنك تتلذَّذ به ، فمن المفروض أن يثير هذا فيك قدرًا ـ ولو ضئيلاً ـ من الخوف ، فما بالك تتجه إليه هكذا بلا مبالاة ؟

لاح له مع بداية المنعطف الأخير قصر دونا (ماريانا) الشاهق ، الذى يبدو من بعيد كقصور الأساطير ، فغمغم فى سخرية :

ـ ويلك يا (أدهم) !! هأنذا قد أصبحت على قِيدِ أمتار من الجحيم ، وسيكون عليك أن تطأه بقدميك .

اتجه بالسيارة حتى بوَّابة القصر ، وتوقَّف أمام حارسها الوحيد ، الذى يبدو بقامته الضخمة ومدفعه الرشاش ، كواحد من محاربى (الساموراى) فى اليابان القديمة ، واتجه إليه الحارس قائلاً :

ـ ماذا تريد أيها الشرطى ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ أريد مقابلة دونا (ماريانا) .

تطلَّع إليه الرجل فى استخفاف ، وقال :

ـ هكذا ببساطة ؟!.. إن دونا لا تقابل أى مخلوق إلّا بموعد سابق أيها الشرطى .

استرخى (أدهم) فى مقعده بهدوء ، وهو يقول فى سخرية :

ـ الشرطة لا تحتاج إلى موعد سابق لاستجواب أى متهم .

ابتسم الرجل فى سخرية ، وقال :

ـ ومن ذا الذى يتهم دونا (ماريانا) أيها الشرطى ؟

قال (أدهم) فى برود :

ـ ليس هذا من شأنك أيها الخنزير .. هل ستفتح البوَّابة ، أو أقتحمها بسيارتى ، وأقذف بك بعيدًا ؟

قهقه الرجل فى سخرية ، وقال :

ـ سيسعدنى أن أرى ذلك أيها الشرطى المتحذلق ، فهذه البوَّابة مصمَّمة بحيث تصد هجوم دبَّابة ، وهى مشحونة بتيار كهربى يكفى لقتل فيل .

ثم انحنى نحو (أدهم) فجأة ، وسأله :

ـ ولكنك لم تخبرنى بعد من أنت ؟

تطلَّع إليه (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـ أأصابك العمى يارجل؟.. أم أنك تتظاهر بالبلاهة؟.. ألا ترى هذا الزىّ الذى أرتديه ؟.. أو تلك السيارة التى أقودها ؟

هزَّ الرجل كتفيه الضخمتين ، وقال :

ـ الزىّ يمكن شراؤه من عشرات المحال التجارية ، والسيارة يمكن تغييرها بقليل من الطلاء والمهارة .

ثم أدخل ماسورة مدفعه الرشاش عَبْرَ النافذة التى يجلس (أدهم) إلى جوارها ، وألصق فُوَّهته برأس (أدهم) ، وهو يقول فى سخرية :

ـ ثم إننى أعلم أنك لست شرطيًا ، وأنك رجل مخابرات مصرىّ .. معروف باسم (أدهم صبرى) ، فمن سوء حظك



ثم أدخل ماسورة مدفعه الرشاش عبر النافذة التى يجلس (أدهم) إلى جوارها ، وألصق فُوَّهته برأس (أدهم) ..

أن دونا (ماريانا) كانت تتوقَّع إقدامك على مثل هذه الخطوة الانتحارية ، فجعلتنى أحفظ صورتك عن ظهر قلب .. إنها نهاية رحلتك أيها الشيطان المصرىَ .

* * *



١١ ــ فى وكر الأفعى ..

كانت مثل هذه المفاجأة كفيلة بتحطيم أعصاب أشد الرجال بأسًا ، ولكن (أدهم صبرى) كان يختلف .

فهو رجل بلا أعصاب ، أو بأعصاب فولاذية ، لا تتحطَّم أبدًا ..

ولقد كان ذلك الحارس العملاق واثقًا من النصر ، وهو يواجه (أدهم) بهذه المفاجأة ، ولكن الثانية التى تلت آخر حرف من محاضرته الطويلة ، أثبتت له أنه مخطئ ، فقد أمال (أدهم) رأسه إلى الوراء فى سرعة ، وقبض على ماسورة المدفع الرشاش بيمناه ، وجذبه إلى داخل السيارة فى قوَّة ، بحيث وجد الحارس جسده يندفع نحو جسم السيارة فى قوة ، وفى نفس اللحظة فتح (أدهم) باب السيارة ، ودفعه فى وجه الحارس بكل ما يملك من قوَّة ..

ولقد كان لذلك المزيج من الحركتين المتضادتين أثر قوىَ ، فقد ارتطم الباب بوجه الحارس الضخم ، وحطَّم اثنتين من أسنانه الأمامية ، وأجبره على التخلِّى عن مدفعه الرشاش ، والسقوط على ظهره فى ضجة شديدة ، كأنَّ صخرة ضخمة سقطت من ارتفاع خمسة طوابق ، وارتطمت بالأرض ..

وقفز الحارس واقفًا على قدميه ، فى رشاقة عجيبة ، بالنسبة

لمن يملك جسدًا بالغ الضخامة كجسده ، وهو يسبّ ساخطًا ، وأراد الاندفاع نحو السيارة ، ولكنه رأى (أدهم) واقفًا أمامها فى هدوء ، عاقدًا ساعديه أمام صدره ، ويقول فى سخرية :

ــ يسعدنى أننا تعارفنا فى سرعة ، بدلاً من إضاعة الوقت .

زمجر الحارس فى غضب ، وهو يقول :

ــ لا تعقِدْ ساعديك أمام صدرك ، مادمت تنوى التظاهر بالبطولة أيها المغرور .

ثم اندفع نحو (أدهم) ، ودفع قبضته فى وجهه بأقصى ما يملك من قوّة ، ولكن (أدهم) تفادى اللكمة الساحقة فى بساطة مدهشة ، وهو يقول فى سخرية :

ــ خطأ أيها الوغد .. ينبغى أن تفقد طنًّا من الشحم أولاً .

قال هذا ، ولكَمَ الحارس فى معدته بقوّة ، جعلت عينيه تجحظان فى ألم ، ثم هوَى على فكّه وأنفه بلكمتين متعاقبتين زلزلتا كيان الرجل ، وجعلتا الدماء تندفع إلى وجهه ، ثم تتدفَق من أنفه وشفتيه ، إلّا أن بنيانه الضخم جعله يقاوم الآلام الرهيبة ، التى يشعر بها ، واندفع نحو زر الإنذار ، المثَبت بجوار البوابة ، وهو يهتف فى صوت متحشرج :

ــ لن تربح أيها الشيطان .. لن تربح أبدًا .

★ ★ ★

قليلون هم من رأوا واحدة من قفزات (أدهم) المذهلة ، ولقد كان من سوء حظ ذلك الحارس الضخم ، أنه واحد من هؤلاء ؛ فلقد قفز (أدهم) قفزة بلغت المترين ارتفاعًا ، عَبَر بها جسد الحارس ، وهبط على قدميه فى منتصف المسافة ، بين الحارس وزرّ الإنذار ..

واتسعت عينا الحارس ، وكادتا تقفزان من محجريهما ، وسقطت فكّه السفلى على نحو جعله أشبه بالبلهاء ، وهو يحدّق فى وجه (أدهم) مذهولاً ، وتسمَّر فى مكانه ، حتى أنه لم يستطيع صد لكمة (أدهم) ، التى حطَّمت ما بقى من أسنانه ، ولا الأخرى التى انفجرت بين عينيه ، وجعلت السماء تظلم أمامه ، قبل أن يسقط كفيل صريع ..

وفى سرعة ، ودون إضاعة لحظة واحدة ، تجاوز (أدهم) جسد الحارس ، والتقط مدفعه الرشاش ، ثم استدار إلى حيث توجد أزرار البوَّابة ، وضغط الزرّ الذى يفتحها على مصراعيها ، وأسرع يقفز فى سيارة الشرطة ، ويدير محرِّكها ، وهو يغمغم فى اهتمام :

ــ والآن إلى وكر الأفعى .

وانطلق بالسيارة يعبُر حديقة دونا (ماريانا) ، نحو قصرها الشامخ ، الذى يرتفع فوق أعلى ربوة فى (برشلونة) .

★ ★ ★

غمغم (ماريو) فى توتُّر ، وهو يراقب شاشة تليفزيونية صغيرة أمامه :

ــ لقد اجتاز بوَّابة القصر يا دونا ، وهاهوذا فى طريقة إلى هنا .

ابتسمت دونا (ماريانا) فى هدوء ، وقالت وهى تنفث دُخان سيجارتها الملوَّنة :

ــ دَعْهُ يصل بقدميه إلى القصر يا (ماريو) .. دع غروره يصوِّر له أنه مازال منتصرًا حتى هذه اللحظة .

هزَّ (ماريو) كتفيه ، وتمتم فى حَيْرة :

ــ لست أدرى طبيعة خُطتك بالضبط يا دونا ؟

ابتسمت فى سخرية ، وهى تقول :

ــ لا تشغل عقلك الصغير يا عزيزى (ماريو) .. دَع التفكير لى ، والتنفيذ لك .

عقد حاجبيه ، وهو يقول فى غضب :

ــ لابدَّ أن أفهم على الأقل .

ضحكت فى استهتار ، وهى تقول :

ــ سيضيع عمرنا كله ، لو أنك تصرّ على ذلك يا عزيزى (ماريو) .

هتف فى غضب :

ــ ماذا تعنين ؟

لوَّحت بكفِّها فى حِدَّة ، وهى تقول فى صرامة :

ــ كفى يا (ماريو) .. إنك تشتِّت تفكيرى فى هذه اللحظات الحرجة .

ثم تألَّقت عيناها فى مزيج من الجذل والشراسة ، وهى تستطرد :

ــ دَعْنى أهتم أولاً بإعداد استقبال مناسب لصديقنا (أدهم صبرى) .

★ ★ ★

وصل خوف (منى) إلى ذِروته ، وهى تحاول فى يأس التخلُّص من قيودها ، وأصوات الفئران تصل إلى مسامعها ، وهى تتحرَّك فى كل مكان حولها ، واغرورقت عيناها بدموع الألم ، وهى تغمغم :

ــ لاتتركنى هكذا يا (أدهم) .. لاتترك هذه الحيوانات القذرة تلتهمنى .

كانت الوسيلة التى أعدَّتها دونا (ماريانا) لقتلها بشعة مخيفة ، حتى أنها لم تشعر فى حياتها كلها بمثل هذا الألم والخوف والفزع ، وخُيِّل إليها أن أطرافها قد خلت تمامًا من الدماء ، وانتابتها الهواجس ، فتصوَّرت أن الفئران تقرض أطراف أصابع قدميها ، وتتسلَّل

إلى شعرها وجسدها ، وبدت لها أصواتها تعلو وتتضاعف ..

إنها عشرات .. بل مئات .. بل آلاف ..

ولم تعد تستطيع الاحتمال ..

انهارت مقاومتها تمامًا ..

وجمعت كل ما بقى من آدميتها فى صرخة واحدة ..

صرخة تحمل اسم (أدهم) ..

ثم غابت عن الوعى تمامًا ..

★ ★ ★

أوقف (أدهم) سيارته أمام باب القصر ، وهبط منها فى هدوء ، متجاهلاً الحراس الأربعة ، الذين اندفعوا نحوه فى عصبية واضحة ، وشهروا مدافعهم الرشاشة فى وجهه ، وهتف أحدهم فى حِدّة :

ـــ من أنت ؟.. وكيف وصلت إلى هنا ؟

تظاهر (أدهم) بالسخط ، وهو يقول :

ـــ يا لكم من بلهاء !! لقد عَبَرْت البوّابة بالفعل ، وذلك الفيل هناك هو الذى سمح لى بذلك .

صاح الرجل فى غضب :

ـــ أنت كاذب .. فلو أن (زاندو) سمح لك بالدخول ، لأبلغنا لاسلكيًا .. قل الحقيقة ، كيف دخلت إلى هنا ؟

تظاهر (أدهم) بالغضب ، وهو يصيح فى وجه الرجل بثبات :

ـــ هل جُنُنت لتشهر مسدَّسك فى وجه رجل شرطة أيها الوغد ؟.. إذا كان زميلك الخنزير قد أهمل إبلاغكم بدخولى فهذا خطؤه ، ولتذهبوا جميعًا إلى الجحيم .

تبادل الحراس الأربعة نظرات مسترِيبة ، ثم أخرج أحدهم جهاز اللاسلكى من جيبه ، وقال فى صرامة :

ـــ حسنًا .. سأسأل (زاندو) ، ولكنك ستندم كثيرًا ، لو أنك لم تذكر الحقيقة يا رجل ، حتى ولو كنتَ مدير جهاز الشرطة نفسه ..

هزَّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، واستند فى هدوء إلى مقدِّمة سيارته ، فى حين هتف الرجل عَبْر جهاز اللاسلكى :

ـــ من حراسة القصر إلى (زاندو) .. هل سمحت لرجل شرطة بالدخول ؟.. أجب يا (زاندو) .. هل سمحت له بالدخول ؟

مضت لحظة من صمت ثقيل ، قبل أن يرتسم الغضب على وجوه الحراس الأربعة ، ويهتف أحدهم فى حِدَّة وسخط :

ـــ إنه لا يجيب .. لقد قتلته أيها الرجل ، وستدفع الثمن .

وارتفعت فُوَّهات المدافع الرشّاشة الأربعة فى وجه (أدهم) .

★ ★ ★

١٢ ـــ مهما كان الثمن ..

يبدو أن أخطر عيوب الأسلحة النارية ، هى أنها تجعل حاملها يظن أنه أقوى وأكثر ذكاءً ممن لا يحملونها ، كما أنها تجعله قليل الاهتمام بتنمية قدراته البدنية ، وكأنما يظن أن سلاحه يجعل عضلاته أقوى ، واستجابته أسرع ..

ولاريب أن الحرّاس الأربعة قد تأكدوا من خطإ هذه النظرية ..

لقد شهروا مدافعهم فى وجه (أدهم صبرى) ، وهم يظنون أن النصر لهم لا محالة ، ولكنهم فوجئوا بـ (أدهم) يتحوّل من رجل عادىّ إلى إعصار ..

إعصار انقضّ على فكّ أولهم فهشّمه ، وانتزع مدفعه الرشاش ؛ ليهوى به على رأس الثانى ، ثم غاص فى معدة الثالث ، وحطمّ أنفه ، واستقر فى وجه الرابع ، فحوّله إلى أشلاء ..

وفى لحظة واحدة ، اختفى الإعصار من أمام عيونهم ، أو من أمام أجسادهم المنهارة ، وقفز فوق سلالم القصر ، ودفع بابه بقدمه ، ثم شهر مدفعه الرشاش فى وجوه الرجال ، الذين اندفعوا نحوه من كل صَوْب ، وأطلق رصاصاته فى سخاء ، وهو يعدُو نحو الحجرة الوحيدة ، التى رأى بابها مفتوحًا ،

والرصاصات تنهال حوله كالمطر ، ثم قفز داخل الحجرة ، وأغلق بابها خلفه فى إحكام .. ولم يكد يفعل حتى سمع من خلفه صوتًا أنثويًا هادئًا ، يقول فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـــ مرحبًا يا سنيور (أدهم) .. لقد كنت أنتظرك منذ حوّلت وجه (زاندو) ، حارس البوّابة ، إلى عجّة .

استدار (أدهم) فى سرعة ، وضاقت عيناه ، وهو يتطلّع إلى دونا (ماريانا) ، التى جلست هادئة فى ركن الحجرة ، تدخّن سيجارتها الملوّنة ، وإلى جوارها (ماريو) ، يصوّب إليه مسدّسه بأصابع مرتجفة ، وقبل أن يشهر (أدهم) مدفعه فى وجهيهما ، ضغطت دونا (ماريانا) زرّ جهاز صغير إلى جوارها ، وقالت فى هدوء :

ـــ أوقفوا إطلاق النار أيها الأغبياء .. إن السنيور (أدهم) ضيفى هذه الليلة ، ومن حُسن الضيافة ألا نطلق النار على الضيوف .

ولدهشة (أدهم) توقّف إطلاق النار فجأة فى الخارج ، والتفتت دونا (ماريانا) إلى شقيقها ، وقالت فى هدوء صارم :

ـــ هل سمعتنى يا (ماريو) ؟

تردّد (ماريو) ، وهو يقول فى حَيْرة :

ــ ولكن يا دونا ..

قاطعته فى برود :

ــ اخفض سلاحك يا (ماريو) .. إن السنيور (أدهم) لن يقاتلنا منذ هذه اللحظة .

ثم التفتت إلى (أدهم) ، وهى تستطرد فى برود :

ــ فزميلته العزيزة مازالت بين أيدينا .

وتحوّلت لهجتها إلى السخرية والثقة ، وهى تردف :

ــ أليس كذلك يا سنيور (أدهم) ؟

★ ★ ★

مرّت لحظة من صمت ثقيل ، مشوب بالحذر ، بعد أن نطقت دونا (ماريانا) عبارتها ، ثم خفض (أدهم) فُوَّهة مدفعه الرشاش ، وهو يقول فى صرامة :

ــ أين هى يا (ماريانا) ؟

حدّقت فى وجهه لحظة ، ثم غمغمت فى برود :

ــ دونا (ماريانا) يا سنيور (أدهم) .

عقد حاجبيه ، وهو يقول فى حزم :

ــ لو أنك أضعت لحظة أخرى ، دون أن تخبرينى أين (منى) ، فستتحوّلين إلى المرحومة (ماريانا) .

ابتسمت (ماريانا) فى استخفاف ، وهى تقول :

ــ إنها أول مرّة نلتقى فيها وجهًا لوجه يا سنيور (أدهم) ، ولكننى أعلم عنك الكثير .. فقد قضيت العامين الماضيين فى دراسة شخصيتك ، والبحث عن وسيلة مثالية لتحطيمك ، وإلحاق أكبر ضرر ممكن بصديقتك ، التى قتلت شقيقتنا الكبرى ، ثم أتت الفرصة لتلقى نفسها تحت قدمىَّ ، وهاأنتذا تطالبنى بالتخلّى عنها من أجل عبارة صارمة ، فهل تظن هذا منطقيًّا ؟

عاد (أدهم) يرفع فُوَّهة مدفعه الرشاش فى وجهها ، وهو يقول فى غضب صارم :

ــ أين (منى) أيتها الحقيرة ؟

استرخت (ماريانا) فى مقعدها ، وقالت فى هدوء :

ــ هل تحب أن تعرف حقًّا يا سنيور (أدهم) ؟

أجابها (أدهم) فى صرامة :

ــ وبسرعة يا (ماريانا) .

تألّق الجذل فى عينيها ، وهى تقول :

ــ حسنًا يا سنيور (أدهم) .. إنها ترقد الآن فى واحد من أقبية القصر الرطبة ، المظلمة ، مقيَّدة فى إحكام إلى منضدة

كبيرة ، وحولها مئات الفئران ، تنظف أنيابها استعدادًا لالتهامها .

اتسعت عينا (أدهم) فى ذُعر ، ثم هتف فى غضب هادر مخيف :

ـ وسط الفئران ؟.. يالك من حقيرة !!

لم يكد يتم كلمته ، حتى قفز (ماريو) نحوه ، وهو يهتف فى جنون :

ـ لن تسترجعها أيها الشيطان المصرىّ .. لن تسترجع الفتاة التى قتلت شقيقتنا .

★ ★ ★

كان أسهل ما يمكن أن يفعله (أدهم) ، هو أن يدير فُوَّهة مدفعه الرشاش نحو (ماريو) ، ويفرغ رصاصاته فى جسده ..

لو أن أى رجل آخر فى موضع (أدهم) ، ما تردَّد فى فعل ذلك ..

ولكن (أدهم) كان شخصية عجيبة ..

إنه لا يتردَّد فى إطلاق النار على أى مخلوق ، لو أنه وجد أنها الوسيلة الوحيدة للدفاع عن حياته ، ولكنه لا يفعل ذلك أبدًا ، مادامت هناك وسيلة أخرى ..

ولقد كانت الوسيلة موجودة فى قبضة (أدهم) ، التى استقبل بها معدة (ماريو) فى قوة ، جعلت هذا الأخير يتصوَّر أن قبضة (أدهم) قد عَبَرت جسده ، ونفَذَت من ظهره ، وحاول أن يشهق معبِّرًا عن ألمه ، إلَّا أن قبضة (أدهم) الأخرى حوَّلت فكّه إلى عظام مفكَّكة مهشَّمة ، ولكنه لم يشعر هذه المرَّة بالألم ، فقد تلاشت آلامه كلها ، حينما سقط عند قدمى (أدهم) فاقد الوعى .

وهنا فقط تلاشت ثقة (ماريانا) ، وانتابها فزع شديد ..

لقد كانت تعلم أن (أدهم) يمتلك قدرات غير عادية ، ولكنها كانت أول مرَّة تشاهد فيها هذه القدرات .. ولقد بعث هذا فى قلبها الرعب ، فتراجعت وهى ترتجف ، حينما قفز (أدهم) نحوها ، وجذبها إليه من عنقها فى قسوة ، وهو يقول :

ـ أين (منى) يا (ماريانا) ؟

أعادتها عبارته إلى عنادها ، فصاحت فى غضب :

ـ مستحيل !! لن أتركك تنتزع انتصارى أبدًا .. الفتاة التى قتلت شقيقتى لن تنجو من قبضتى .

شدَّد ضغطه على عنقها ، وهو يقول فى حزم وصرامة :

فتراجعت وهى ترتجف ، حينما قفز (أدهم) نحوها ..

ــ سأجبرك على إرشادى إليها أيتها الأفعى .

صاحت فى جنون :

ــ مستحيل !! لن يسمح لك رجالى بذلك .

أجابها فى حِدَّة وصرامة :

ــ سأنقذ (منى) أيتها الأفعى .. سأنقذها مهما كان الثمن .





١٣ ـ ظلال الموت ..

امتلأت قلوب رجال دونا (ماريانا) بالدهشة والحيرة والتوتُّر ، حينما رأوا (أدهم) يغادر حجرتها ، وهو يحيط عنقها بذراعه فى قوة ، ويلصق فُوَّهة مسدَّس (ماريو) فى صدغها بقوة ، وهو يقول فى مزيج من الغضب والصرامة :

ــ حذار أن يحرِّك أحدكم إصبعًا واحدًا ، وإلّا كان عليكم استخدام ملقط دقيق ، لجمع أجزاء رأس زعيمتكم .

أرادت دونا (ماريانا) أن تصرخ فى وجوه رجالها ، وتأمرهم بإطلاق النار على رأس (أدهم) ، مهما كانت النتائج .. إلّا أن (أدهم) كان قد كمَّم فمها فى قوَّة ، حتى يمنعها من إلقاء أى أمر متهوِّر جنونى ..

وفى بطء وحذر ، دفع (أدهم) دونا (ماريانا) أمامه ، عَبْرَ بهو القصر الواسع ، وهو يقول فى حِدَّة :

ــ فليقدنا أحدكم إلى القبو ، الذى تضعون فيه الفتاة .

تردَّد الرجال لحظة أخرى ، ثم انفصل أحدهم عن المجموع ، وسار أمام (أدهم) وأسيرته فى صمت ، والجميع يراقبون الموقف فى غضب وعصبية ، وحاولت دونا (ماريانا) التخلُّص من قبضة (أدهم) أكثر من مرَّة ، ولكن محاولاتها

لم تكن تسفر إلّا عن شعور بالاختناق والألم ، مما جعلها فى النهاية تستسلم ، وتتركه يدفعها أمامه حتى القبو ، الذى تسجن فيه (منى) .. ولم يستطع (أدهم) الانتظار حتى يفتح الرجل باب القبو ، بل دفعه بقدمه فى قوَّة ، وهو يهتف فى توتُّر :

ــ أين مفتاح الإنارة ؟

أسرع الرجل يضىء القبو ، فى حين وصل توتُّر (أدهم) إلى ذِروته ، مع صوت الفئران ، التى تملأ المكان .. ولم يكد الضوء يغمر القبو ، حتى اتسعت عينا (أدهم) فى ذهول ، وتراخت قبضته حول عنق (ماريانا) ، وهو يغمغم :

ــ يا للبشاعة !! يا للبشاعة !!

★ ★ ★

لعل البعض يتصوَّر أن مبعث ذهول (أدهم) هو رؤيته للفئران ، وهى تلتهم جسد زميلته (منى) ، ولكن العجيب أن مبعث دهشته كان عكسيًّا ، إذ كان القبو خاليًا تمامًا من أية حيوانات صغيرة أو كبيرة ..

لم يكن هناك سوى جسد (منى) الشاحب ، الفاقد الوعى ، بالإضافة إلى أجهزة صوتية شيطانية ، توحى بوجود آلاف الفئران فى المكان ..

وهتف (أدهم) فى غضب :

ــ لماذا ؟.. لماذا فعلت بها هذا أيتها الحقيرة ؟

أفلتت (ماريانا) من قبضته ، وجذبت الكمامة عن فمها ، وهى تصرخ فى جنون :

ــ لقد أقسمت أن تموت الفتاة التى قتلت شقيقتى ألف مرَّة ، وهذا الفزع الهائل ، الذى عاشته طوال الساعة الماضية ، كان أول خطوة فى انتقامى .

وأطلقت ضحكة جنونية مخيفة ، قبل أن تستطرد فى جنون :

ــ حاول أن تتخيلها وهى مقيَّدة فى قبو مغلق مظلم ، والجوّ حولها يوحى بوجود مئات الفئران ، تستعد لالتهامها ، وما بين لحظة وأخرى تمس وجهها أهداب صناعية ، تجعلها تظن أن الفئران تتشمَّمها قبل التهامها .. رُعب هائل وفزع رهيب .. إننى أعجب كيف لم يقتلها كل هذا .

هتف (أدهم) فى غضب :

ــ أيتها الحقيرة !! إنك أكثر بشاعة من شقيقتك !!

عادت دونا (ماريانا) تطلق ضحكة جنونية أخرى ، وهى تقول :

ــ لم تعد هناك فائدة أيها الشيطان .. لقد خسرت .. خسرت فرصتك الأخيرة .

لم يفهم (أدهم) ما تعنيه ، إلّا عندما شعر بفُوَّهة المدفع الرشاش الخاص برجلها ، وهى تلتصق بعموده الفقرى ، وسمع الرجل يقول فى حِدَّة :

ــ إنها على حقٍّ أيها الشيطان المصرى .. لقد خسرت فرصتك الأخيرة .

★ ★ ★

لو أن (ماريانا) ورجلها حسبا حالة الغضب الهائل ، التى يمرّ بها (أدهم صبرى) ، والتى تعربد فى أعماقه ، ما حاولا مضاعفتها فى هذه اللحظة ، فالغضب يدفع فى عروق الرجل العادى قوة جبارة ، فما بالك برجل مثل (أدهم صبرى) ؟! ..

لقد فوجئ الرجل ، الذى يمسك المدفع الرشاش ، بـ (أدهم) ينحنى جانبًا ، ثم يميل ليقبض على المدفع الرشاش بقبضته اليمنى ، ويجذبه إليه ، ويدفع مرفقه الأيسر كالقنبلة فى صدر الرجل الذى اندفع إلى الأمام ، ثم تحطَّمت إحدى ضلوعه فى صوت مسموع ، قبل أن يرتد إلى الخلف فى قوة ، ليصطدم

بالحائط أمام عينى (ماريانا) ، التى اتسعتا فى ذُعر ، وهى تندفع خارج القبو ، صارخةً :

ــ النجدة يا رجال !! النجدة !!

وفى حركة سريعة ، دفع (أدهم) الرجل خلفها ، إلى خارج القبو ، ثم أغلق بابه فى إحكام ، وغمغم وهو يتحرَّك نحو (منى) :

ــ من حسن الحظ أن تلك اللعينة قد صنعت باب القبو من الفولاذ ، حتى تمنع من تسجنه فيه من الفرار ، وفى حالتنا هذا سيكون لذلك الباب الفولاذى أثر عكسىّ ، فهو سيمنعها ورجالها من اقتحام القبو .

وأخذ يحلّ وثاق (منى) فى سرعة ومهارة ، ثم أخذ يربِّت على وجنتيها فى حنان ، متجاهلاً الحالة المعقَّدة التى تحيط بهما ..

وبعد حوالى خمس دقائق فتحت (منى) عينيها ، وحدَّقت فى وجه (أدهم) بذُعر ، قبل أن تهتف فى صوت مرتجف ، يمتلئ بالفزع والشحوب :

ــ (أدهم) ؟!.. أأنت هنا حقًا ؟.. أأنت هنا ؟

ثم انفجرت بالبكاء ، وهى تتعلَّق به ، وتصرخ فى رعب :

ــ الفئران يا (أدهم) !! الفئران !! كانت ستلتهمنى .

ربَّت على رأسها فى حنان ، وهو يغمغم :

ــ لا توجد فئران يا عزيزتى ، لقد انتهى كل شىء .. انتهى كل شىء .

ولكنه كان يعلم فى قرارة نفسه ، أن الخطر لم يزل بعد .

★ ★ ★

هتف أحد رجال دونا (ماريانا) ، وهو يحاول دفع الباب الفولاذىّ فى قوة :

ــ مستحيل يا دونا .. لقد صنعنا هذا الباب بأنفسنا ، ونحن نعلم أنه من المستحيل اختراقه ، حتى باستخدام قنبلة .

صاحت دونا (ماريانا) فى غضب هائل :

ــ لا يوجد مستحيل .. لن أترك هذا الشيطان ينجو أمام عينىّ ، لن أتركه يفرّ وأنا عاجزة عن قتله ، وعن قتل الفتاة .

قلَّب الرجل كفَّيه فى حَيْرة ، وهو يغمغم :

ــ يفرّ ؟!.. من أين يا دونا ؟.. لا يوجد مخرج للقبو إلَّا هذا الباب الفولاذىّ ، وفتحة التهوية على ارتفاع خمسة أمتار ، ولن يقفز هذا الشيطان إليها ، ولو كان بطل أبطال العالم فى الوثب العالى .

صرخت (ماريانا) فى غضب :

ــ لست أدرى من أين سيفرّ ، ولكنه سيفعل .. إنه شيطان .. شيطان .

ثم توقَّفت فجأة ، وبرقت عيناها فى شراسة ، وهى تقول :

ــ فتحة التهوية !! نعم .. إنها الحلّ الوحيد .

وأطلقت ضحكة شيطانية ، قبل أن تقبض على ذراع الرجل ، وتقول فى عصبية :

ــ لقد رفضا فكرة الفئران الزائفة ، ولكننا سنعاملهما كالفئران الحقيقية .

وعادت تطلق تلك الضحكة الشيطانية ، قبل أن تردف فى لهجة أقرب إلى الجنون :

ــ نعم .. كالفئران الحقيقية .

* * *

مضت نصف ساعة كاملة ، قبل أن تهدأ (منى) ، وتستعيد سيطرتها على أعصابها المنهارة ، وتقول لـ (أدهم) فى توتُّر :

ــ ولكن ماذا يحدث ؟.. وأين (قدرى) ؟

مطَّ (أدهم) شفتيه فى أسف ، وقال :

ــ لست أدرى ماذا أصاب (قدرى) يا (منى) ، ولا أين هو .

اتسعت عيناها فى ذُعر ، وهى تهتف :

ــ يا إلٰهى !!.. هل تخلَّيت عن (قدرى) ؟

زفر (أدهم) فى ضيق ، وقال :

ــ لقد كان الوقت أضيق من أن أحاول إنقاذكما معًا يا (منى) ، ولقد كان علىَّ أن أختار ما بين إنقاذك أو إنقاذه ، ولقد قدَّرت أن (قدرى) بصفته رجلاً يستطيع أن يعنى بنفسه ، أما أنت .....

بتر عبارته فجأة ، والتفت إلى (منى) ، وهو يقول فى حنان :

ــ ثم إن مجرَّد تعرُّضك للخطر ، يجعلنى أنسى العالم كله يا عزيزتى .

أطرقت برأسها ، لتخفى احمرار وجهها خجلاً ، وهى تغمغم :

ــ أين هو الآن يا تُرى ؟

هزَّ (أدهم) رأسه فى أسف ، وقال :

ــ الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم إجابة هذا السؤال يا (منى) ، ولكننى أقسم أن أحرِّره ، وأن ألقِّن (تيدى فولسونج) هذا درسًا قاسيًا ، لو أننا نجحنا فى الخروج من هنا أحياء .

تطلَّعت إلى المكان فى يأس ، ثم غمغمت :



ورأيا الماء الغزير ، الذى ينهمر من فتحة التهوية ، إلى جوف القبو ..

ــ أظن هذا مستحيلاً هذه المرَّة يا (أدهم) .. لقد أصحبنا كالفئران فى المصيدة .

شملهما صمت عميق عند هذه النقطة ، حتى اقتربت هى منه ، وغمغمت :

ــ (أدهم) .. أعلم أنها نهايتنا ، ولكننى لا أخاف ، فمصير كل مخلوق الزوال ، ويكفينى أن نقضىَ نحبنا معًا .

ربَّت على كتفها فى حنان ، وهو يقول فى شرود :

ــ مَنْ يدرى يا عزيزتى ؟.. مَنْ يدرى ؟

ثم التقى حاجباه فجأة ، وأشار إليها أن تصمت ، وغمغم فى قلق :

ــ عجبًا !!.. يخيَّل إلىَّ أنه صوت نهر يجرى فى مجراه أو ....

غمغمت (مُنى) فى توتُّر :

ــ أو ماذا ؟

ولكن صوت تدفُّق الماء بدا شديد الوضوح ، حتى أنهما أدارا عيونهما إلى مصدره ، ورأيا الماء الغزير ، الذى ينهمر من فتحة التهوية ، إلى جوف القبو ، وهتفت (منى) فى ذُعر :

ــ يا إلٰهى !!.. إنها النهاية يا (أدهم) .

وفى الخارج ارتفعت ضحكة دونا (ماريانا) الشيطانية ، وهى تصرخ فى شراسة وشماتة :

ــ سنغرقهما كالفئران .. سنغرقهما حتى الموت .

وأخذ القبو يمتلئ بالماء فى سرعة جنونية ، ورأى (أدهم) و (منى) ظلال الموت تحيط بهما بلا رحمة .

* * *

[تمّ الجزء الأول]

ويليه الجزء الثانى فى العدد القادم

[أفعى برشلونة]

رقم الإيداع : ٣٦١٩